الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الجيلالي بونعامة –خميس مليانة–

كليـة الآداب واللّـغات

قسم اللّغة والأدب العربي

علاقة التّضمّن عند المعجميّين ودورها في الكشف عن المعنى

مذكّرة مقدّمة لنيل شهادة ماستر في اللّغة والأدب العربي

التّخصّص: علوم اللّغة

إعداد الطالبتين:

– أحلام تيباحين

– فتيحة إيططاحين

إشـــراف الأستاذ:

د/ حسين قاضي

السنة الجامعية

2017/2016

إهداء

إلى الجبل الشّامخ في وجه المآسي بكلّ عِزّ وفخار، إلى المكُلَّل بتاج الهيبة والوقار، أبي سراج حياتي، وبلسم جراحي.

إلى صاحبة الفؤاد الأبلج بالبياض، إلى المقدّسة منزلتها عند ربّ السّماء، أمّي فيض الودّ، ونبع الحنان.

إلى من عهدتهم لي متّكأ وسندا، إلى من كانوا لي عونا ومددا، إخوتي وأخواتي.

إلى زهيرات دربي، ونسمات قلبي، رفيقاتي الفضليات.

إلى الوفيّة الغنيّة عن كلّ وصف، سميرة.

أحلام

إهداء

إلى من يبلّغنا برّهما علياء الدّارين، إلى من قال الله عزّ وجلّ في حقّهما:

﴿ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: 24]

والديّ الكريمين أسأل الله أن يبارك لهما في عمرهما وأن يمتّعهما بالصّحّة والعافية، ويُمطر عليهما سحائب رحمته.

إلى من تذوّقت معهم أجمل اللّحظات، وبرفقتهم خضت الدّروب حلوها والمرّ إخوتي.

إلى البراعم النّديّة شيماء، محمد، وإلى أمّهما المصون.

إلى من تَحلَّين بالإخاء، تميّزن بالوفاء، فسعدت معهنّ إلى من كنّ معي على طريق الخير والنّجاح صديقاتي.

فتيحة

شكر وتقدير

الحمد لله ذي المنّة والعطاء، الموفّق لخير الإدلاء، وبعد... يقول عليه الصّلاة والسّلام: «... من صنع إليكم معروفا فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئونه به فادعوا له حتّى تروا أنّكم قد كافأتموه» رواه أبو داوود.

ومن هذا المنطلق نظرنا الواجب أن نزجي الشّكر فائقه، والثّناء وافره لمن ذلّل صعوبات واجهتنا، وأسهم في تقويم العمل وتصويبه، وتنقيته من شوائب الزّلل وتهذيبه، أستاذنا المشرف «حسين قاضي»، فجزاه الله عن سعيه هذا كريم الجزاء.

مقدّمة

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام الأتمّان الأكملان على من أوتي جوامع الكلم وفصل الخطاب، قائد الغرّ المُحجّلين، وصاحب الرّكب الميامين محمّد الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

فإنّ مبعث نهوض الدّراسات اللّغويّة العالميّة في الغالب كان مرتبطا بديانات الأمم والشّعوب، وهي مُسلّمة في عرف تلك الدّراسات لم يشذّ العرب عنها؛ فكانت وثيقة الصّلة بالقرآن الكريم الّذي تحدّى الله به العرب أن يأتوا بمثله فكان أن عجزوا عن ذلك وهم الفصحاء﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآَنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾**[الإسراء: 88]** وقد شكّل ذلك دافعا للعرب المسلمين لمحاولة فهم تلك المعجزة، وكانت البدايات الأولى لجملة علوم القرآن ذات صلة وطيدة باللّغة؛ فمنها المهتمّة بأحكامه وحِكمه، ومنها المهتمّة بطريقة قراءة آيه وترتيلها، ومنها المهتمّة بتفسير غريب مفرداته وتبيان معانيها...

ومَن تدبّر الذّكر الحكيم وجد فيه من وجوه الإعجاز فنونا ظاهرة وأخرى خفيّة من جهتي اللّفظ والمعنى قال تعالى:﴿ الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آَيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾[**هود : 1**] ، ولأنّ اللّغة العربيّة تمتاز بخاصيّة مهمّة هي: الثّراء اللّغوي فإنّ فيها من اللّطائف والأسرار، والفوائد والدّرر ما تنفرد به، وفيها ما تشترك به مع سائر الألسن انطلاقا من الألفاظ _ لكلّ لغة جملة من الألفاظ_ الّتي لها كبرى الأهميّة في حياة الأفراد؛ إذ بها يحصل التّفاهم، وفي حسن انتقائها بالغ القيمة؛ فلا يحصل التّأثير في السّامع أو المتلقّي من دونها وبهذا تتحقّق لها المنزلة الرّحبة في حقل الدّراسة اللّغويّة عامّة والدّلاليّة خاصّة، ومن ذلك الاشتراك أيضا: بعض العلاقات الدّلاليّة على غرار التّضمّن الّذي كان محور هذا البحث(علاقة التضمّن عند المعجميّين ودورها في الكشف عن المعنى) فهو كائن في جلّ اللغات من نحو: الإنجليزيّة، والفرنسيّة، وقد كان الخوض في علاقات أخرى لِزاما في سبيل الولوج إلى علاقة التّضمّن الّتي يُقصد بها: الدّال الّذي يكون مدلوله عامّا لأنّه يضمّ دلالات متعدّدة وهي تنضوي تحته، ولمّا كان الغريب من أهمّ القضايا الّتي أضحى يعالجها علم الدّلالة الحديث؛ باعتباره العلم الّذي يُعنى بدراسة المعنى وقضاياه سواء

تعلّق الأمر بمعاني المفردات أو التّراكيب: كان الرّأي أن يكون التّطبيق على أحد أعرق معاجم الغريب والمتمثّل في غريب القرآن للسّجستاني، ورصد دور الظّاهرة في الكشف عن المعاني من خلال مفرداته؛ إذ يُعدّ العمل المعجمي من أهمّ مباحث اللّغة العربيّة وأدقّها على الإطلاق، وقد شغل الإنسان ولازال يشغله حتّى عصرنا الحالي، كونه يكتسي قيمة علميّة وتعليميّة لذا وجد من العناية والرّعاية الشّيء الكثير ممّا يجعله يستمرّ ويتطوّر بغية الحفاظ على مفردات اللّغة وحمايتها مع تولّي تفسيرها وتوضيحها وبيان معانيها.

وقد قام هذا البحث في أساسه على طرح مجموعة من الأسئلة الّتي تعلّقت بعلاقة التّضمّن وهي:

– ما قيمة التّضمّن في ميزان البحث الدّلالي؟ وكيف أسهم في الكشف عن المعنى؟

– ما المنبت الحقيقي للتّضمّن؟

– هل يمكن اعتبار قضيّة إنكار التّرادف أولى بذور نشأة علاقة التّضمّن، وأهمّ أسباب ظهوره؟

– وهل حقّا كانت المعاجم مسرحا للعلاقة، وبخاصّة معاجم غريب القرآن؟

وأمّا أهميّة الموضوع فتكمن في:

– إعمال الفكر في محاولة إيجاد الفروق الدّلاليّة بين الكلمات الغريبة في القرآن الكريم، والّتي يُخال التّرادف بينها، وبتّالي تحديد الهدف الأسمى من توظيف التّضمّن في المعاجم العربيّة.

– تسليط الضّوء على ظاهرة التّضمّن بعدّها احدى العلاقات الدّلاليّة.

– التّضمّن علاقة دلاليّة مشتركة بين اللّغات الإنسانيّة، وهي في العربيّة أبرز وأميَز.

– في هذا البحث بيان لتفطّن أصحاب المعاجم لهذه العلاقة منذ الأزل.

– السّجستاني من أشهر علماء التّفسير المختصّين بغريب القرآن الكريم، وهو من أبرز أعلام القرن الثّالث؛ إذ يُعدّ كتابه (نزهة القلوب) مصدرا مهمّا ينهل منه طلّاب العربيّة ومحبّوها، ويُعدّ مرجعا قيّما ثمينا.

فيما تمثّل هدف هذه الدّراسة:

إظهار الدّور الأسمى لعلاقة التّضمّن الدّلاليّة، والوقوف على المعاني الحقيقيّة لها، وقراءتها قراءة علميّة تحليليّة تجمع أطراف الموضوع وتُطبّقه على أحد معاجم الألفاظ في بحث علمي، وقد اتّبعنا المنهج الوصفي القائم على التّحليل وهذا ما بدا بوضوح حين قمنا بالتّعليق على جداول الفصل التّطبيقي.

أمّا أسباب اختيار الموضوع فترجع إلى:

– كون التّضمّن جانبا من جوانب البحث الدّلالي؛ فقد عدّه علماؤه من بين علاقات هذا العلم الموسومة بالدّقّة، والمُبيِّنة للطائف الفروق بين الألفاظ.

– قلّة الدّراسات الدّلاليّة التّطبيقيّة لعلاقة التّضمّن، وخاصّة التّطرّق لها عند المعجميين؛ إذ لم يكن للقضايا المعجميّة حظّ وافر من الدّراسات اللّغويّة.

– جمع المتناثر من الكتب حول ظاهرة التّضمّن، وتبيان مواقف الباحثين منها.

– التّضمّن سبيل للإقناع العقلي، والإمتاع العاطفي؛ فأمّا الأوّل فيتمثّل في قصر توظيف احدى الكلمات في موضع معيّن انطلاقا من معرفة السّياق، وأمّا الثّاني فيما تتركه اللّفظة الضّامنة من رحب مساحة تضطرّ القارئ لمعايشة الحدث، والغوص في أعماقه حتّى يتسنّى له إدراك المعنى المقصود.

– طبيعة التّخصّص المعرفي المتمثّل في العلوم اللّغويّة.

وقد كان حظّ الموضوع من الدّراسات السّابقة ضئيلا فلم يكن الحصول على موضوع مشابه له تماما ممكنا، وكان الاكتفاء ببعض الدّراسات القريبة منه وهي:

– دراسة دلاليّة في كتاب المفردات في غريب القرآن للرّاغب الأصفهاني لحسين قاضي، والّذي ركّز فيه على مساهمة الرّاغب الأصفهاني في الأبحاث الدّلاليّة، وأهمّ القضايا الدّلاليّة الّتي طرقها.

– ظاهرة التّرادف والاشتراك اللّفظي في كتابي الفروق اللّغويّة وفقه اللّغة(دراسة لسانية تداولية) للشّريف بوشارب.

– الفروق اللّغويّة في المعاجم العربيّة(كتاب الفروق في اللّغة لأبي هلال العسكري أنموذجا) لسوهيلة دريوش.

أمّا عن الصّعوبات الّتي اعترضت سبيلينا ونحن ننجز هذا البحث، فهي صعوبات لا يخلو منها أيّ عمل يطارده الوقت، إضافة إلى غياب دراسة مختصّة في علاقة التضمّن تُلمّ بكلّ جوانبها.

وقد قسّمنا البحث إلى مقدّمة وفصلين مسبوقين بفصل تمهيدي، ومُذيّلين بخاتمة.

أمّا المقدّمة فتطرّقنا فيها إلى أهميّة الموضوع وأسباب اختياره، وذكرنا الهدف من دراسته، والدّراسات السّابقة، كما طرحنا الإشكاليّة، وصرّحنا بالمنهج المُتّبع إضافة إلى شرح خطّة البحث، وأشرنا في الفصل التّمهيدي إلى حوليات المعجم، ومفهوم الدّلالة في اللّغة والاصطلاح، ومفهوم علم الدّلالة، وموضوعات علم الدّلالة، وبعض نظريّاته، وأمّا الفصل الأوّل الّذي عُنوِن بعلاقة التّضمّن عند المعجميين فقد تكوّن من مبحثين، وأربعة مطالب عنوان المبحث الأوّل هو: بين أحاديّة اللّفظ والمعنى وتعدّدها تطرّقنا فيه إلى ظاهرتي المشترك اللّفظي والأضداد، ومن ثمّ علاقة التّرادف، وأمّا المبحث الثّاني فعُنون بـ: التّضمّن إحالة الأُوّل واحتضان الأُخر تفرّع لمطلبين هما: أساسات وقف عليها منكرو التّرادف، وعلاقة التّضمّن، وأمّا الفصل الثّاني فعنوانه: دور التّضمّن في الكشف عن المعنى انطلقنا فيه بنبذة حول الغريب، وجعلنا ثاني عناوينه: في رِحاب كتاب السّجستاني، ثمّ شخصه، ثمّ جئنا بجداول كلّ واحد منها يحوي حقلا معيّنا، وأمّا الخاتمة فأودعناها أهمّ نتائج هذا البحث.

وختاما نتقدّم بجزيل الشّكر وجميل العرفان إلى أستاذنا المشرف حسين قاضي الّذي رعى هذا البحث وأسهم في تصويبه، ولكلّ من كانت له أياد علينا سابغة.

وبعد فهذه ليست سوى محاولة قابلة للنّقاش والتّدارك، فإن اهتدينا ووُفّقنا فما توفيقنا إلّا بالله، وإن قصّرنا في ذلك فحسبنا أنّنا حاولنا، والله الهادي إلى سواء السّبيل، وما التّوفيق إلّا به.

فصل تمهيدي

مقدِّمات عامّة

مقدّمات عامّة:

وقد حوى هذا العنوان المفاهيم الخاصّة بأبرز النّقاط المحيطة بالعنوان الرّئيس، مع إضافة شيء يسير من المعلومات الّتي كان ذكرها ضروريّا من مثل: الحديث عن نشأة المعاجم وتطوّرها.

حول المعجم:

لغةً:

ذكر الخليل بن أحمد الفراهيدي نصّاً في الجذر اللّغويّ «ع ج م» قال فيه: "العَجَمُ: ضدّ العرب ورجل أعجميّ: ليس بعربيّ وقوم عجم وعرب، والأعجم الّذي لا يُفصح وامرأة عجماء بيِّنةُ العُجمة والعجماء: كلّ دابّة أو بهيمة " .[1]

وهذا قول ابن فارس في المادّة عينها: " العين والجيم والميم ثلاثة أصول أحدها يدلّ على سكون وصمت، والآخر على صلابة وشدّة، والآخر على عضٍّ ومذاقة... ".[2]

وفي لسان العرب قال ابن منظور: "«عَجم» العُجمُ والعَجَمُ: خلاف العُربِ والعَرَبِ يعتقب هذان المثالان كثيرا، يُقال عجميٌّ وجمعه عَجَمٌ، وخلافه عربيٌّ وجمعه عربٌ، ورجل أعجم وقوم أَعجَمُ " .[3]

وزاد ابن جنّي توضيحاً للأصل نفسه فقال: "إنّما وقعت في كلام العرب للإبهام والإخفاء وضدّ البيان والإفصاح. من ذلك قولهم : رجلٌ أعجم، وامرأة عجماء، إذا كانا لا يُفصحان ولا يُبينان كلامهما... ومن ذلك تسميتهم صلاتي الظّهر والعصر «العجماوَيْن» لمّا كانتا لا يُفصَح فيهما بالقراءة... " .[4]

---

(1) الخليل بن احمد الفراهيدي، العين، تح: مهدي المخزومي، وإبراهيم السّامرّائي، دار الهلال، د ط، د ت،ج1، ص237.

(2) أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللّغة، تح: عبد السّلام محمّد هارون، دار الفكر، د ط، 1399ه/1979م، ج4، ص240.

(3) ابن منظور، لسان العرب، د ط، د ت، ج 18، ص70.

(4) عثمان بن جنّي، سرّ صناعة الإعراب، تح : حسن هنداوي، د ط، د ت، ج1، ص36.

وفي غير المُصَنَّف قال ابن جنّي: "ألا ترى أنّ تصريف عَجَمَ أين وقعت في كلامهم إنّما (هو للإبهام) وضدّ البيان. من ذلك العجم لأنّهم لا يُفصحون، وعجم الزّبيب ونحوه لاستتاره في ذي العجم، ومنه عُجمة الرّمل لِما استبهم منه على سالكيه فلم يتوجّه لهم ومنه عَجَمْتَ العود ونحوه إذا عَضِضته: لك فيه وجهان: إن شئت: إنّما ذلك لإدخالِك إيّاه في فيكَ وإخفائكَ له، وإن شئت إنّ ذلك لأنّك لمّا عَضِضته ضغطتَ بعض ظاهر أجزائه فغارت في المعجوم فَخَفِيَت. ومن ذلك استعجمت الدّار إذا لم تُجب سائلها... ".[1]

اصطلاحاً:

قال أحد المُحدثين: "المعجم كتاب يضمّ أكبر عدد من مفردات اللّغة مقرونةً بشرحها وتفسير معانيها، على أن تكون الموادّ مُرتبة ترتيباً خاصّاً، إمّا على حروف الهجاء أو الموضوع، والمعجم الكامل هو الّذي يضمّ كلّ كلمة في اللّغة مصحوبةً بشرح معناها واشتقاقها وطريقة نطقها وشواهد تُبَيِّنُ مواضع استعمالها "[2]، أو هو: "الكتاب الّذي يفتح للنّاس ما استبهم من الكلام "[3] وبنصّ ثان هو: "كلّ ديوان يجمع مفردات اللّغة ومُرتّب على حروف الهجاء "[4]، وغير بعيد عن هذا ورد تحديد آخر للمعجم قال صاحبه أنّ المعجم: "قائمة من الكلمات الّتي تُسمِّي تجارب المجتمع أو تصفها أو تُشير إليها ومن شأن هذه الكلمات أن تُحمل كلّ واحدة إلى جانب دلالتها بالأصالة والوضع(الحقيقة) على تجربة من تجارب المجتمع أن تدلّ بواسطة التّحويل (المجاز) على عدد آخر من التّجارب ".[5]

(1) عثمان بن جنّي، الخصائص، تح: محمّد علي النّجّار، دار الكتب المصرية، د ط، د ت، ج 3، ص76.

(2) أحمد عبد الغفور عطّار، مقدّمة الصّحاح، دار العلم، بيروت_ لبنان، ط3، 1404ه/1984م، ص38.

(3) عدنان الخطيب، المعجم العربيّ (بين الماضي والحاضر)، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، ط 2، 1414ه/1994م، ص31.

(4) المرجع نفسه، ص35.

(5) حسن تمّام، اللّغة العربيّة (معناها و مبناها)، دار الثّقافة، الدّار البيضاء، المغرب، د ط، 1994م، ص39.

وعليه فقد أسهم ولدان العربيّة من الرّعيل الأوّل في تطوير اللّغة وإرسائها والمحافظة عليها، وهذا ما حدث في كثير الأحيان ونهض على أسسٍ علميّةٍ، وقد برز العرب بشكلٍ خاصّ في تصنيف المعجمات ودراستها[1]؛ إذ أُحيط اللّسان العربيُّ ببالغ العناية والاهتمام من قبل بنيه صيانةً له من اللّحن واجتناباً لإمكانيّة تفلّته، وتيسيراً لسبل تعلّم العربيّة للجماهير الدّاخلة في الإسلام، ممّا أسفر عن نشوء علم اللّغة، وكان اشتغالهم بهذا العلم منبتَ ظواهر شتّى من قبيل تلك المحاولات لتدوين كتب لغويّة خالصة فتكوَّن منها: معاجم الألفاظ، ورسائل في الظّواهر الفرديّة، وأخرى في المعاني والموضوعات.[2]

فأمّا معاجم المعاني أو المعاجم المُبوّبَة فهي الأسبق ظهوراً من المعاجم المُجنّسة (معاجم الألفاظ)[3]، ويُقصد بها" الكتب المؤلّفة في جمع الألفاظ حسب موضوعها أو معناها "[4]على شاكلة كتب خلق الإنسان، أو الفرس، أو الخيل، أو الإبل...، وقد جُعلت معاجم المعاني على ضربين: الأوّل إفراد موضوع واحد بمُؤلّفٍ مستقلّ، والثّاني معاجم الموضوعات (المعاني).

وعلى من أراد سبرَ غور معجمٍ لغويّ من معاجم الألفاظ بدايةً أن يرجع إلى أصل الكلمة وذلك بتجريد اللّفظة المُراد البحث عنها من الزّوائد وردّها إلى جذرها اللّغويّ وهو الفعل الماضي أو المصدر، ويُستثنى من ذلك بعض المعاجم المُرتبة وحداتها اللّغويّة حسب وُرودها ونطقها، ولها ثلاث طرق: فأمّا الأولى فهي التّرتيب بحسب الحروف الحلقيّة ومقلوبات الكلمة، والثّانية هي

(1) ينظر، عدنان الخطيب، المعجم العربي (بين الماضي والحاضر)، ص36.

(2) ينظر، حسين نصّار، معاجم على الموضوعات، الكويت، د ط، 1405هـ/1985م، ص5.

(3) ينظر، ديزيره سقال، نشأة المعاجم العربيّة وتطوّرها (معاجم المعاني _ معاجم الألفاظ)، دار الصداقة العربيّة، بيروت_لبنان، ط 1، 1995م، ص13.

(4) أحمد الباتلي، المعاجم اللّغويّة (وطرق ترتيبها)، دار الرّاية، الرّياض، ط1، 1412هـ/1992م، ص69.

طريقة التّرتيب بحسب الحرف الأوّل للكلمة، أمّا الأخيرة فهي طريقة التّرتيب بحسب الحرف الأخير للكلمة.[1]

وكانت انطلاقة الأبحاث اللّغوية في القرن الأوّل للهجرة ترمي إلى تفسير غريب القرآن الكريم ومُشكَلِه وغريب الحديث، وكذا غريب ما وُجد في الشِّعر العربيّ ونوادره، وكان أن بزغ رجل من نوابغ العرب هو «الخليل بن أحمد الفراهيدي» وفكّر في طريقةٍ لجمع العربيّة وتدوينها بين دفتي كتاب، واضعاً نهجاً إنّما يُنمّ عن عبقريّةٍ فذّة حيث إنّه يقوم على قواعد رياضيّة بحتة، وحتّى القرن الثّاني عشر للهجرة قام كثير من العلماء بعمليات البحث والتّأليف والجمع، فكان هؤلاء هم رُواد المعجم العربيّ الأُوَّل الّذين أسّسوا له القواعد الّتي يقوم عليها غير أنّ بُناة المعجم العربيّ في الحقيقة هم جميع الكُتّاب والمؤلِّفين في ناحيةٍ من نواحي اللّغة الّذين حرّروا لنا ثروة من الكتب اللّغويّة لا يُستهان بها.[2] "وكلُّ كتاب منها بحسب قيمته يُعتبر لبنةً أو حجراً أو زاويةً أو عموداً أو دعامة في بناء المعجم العربيّ " .[3] وإذن فالسّبق في فكرة المعاجم كان من صنيع النّحويين أي: عند طبقة النّحاة الّذين كانوا من قبل أن يكون النّحو علماً بأصول، ولم تكن في خاطرة الرُّواة، وكان تصنيف المعجم العربيّ على مناهج ثلاثة:

1) منهج الخليل: في العين وأبرز من تبعه ابن سِيده في المُحكم، و ابن دُريد في الجمهرة.
2) منهج ابن فارس في مقاييس اللّغة: ومن مُتّبعيه الصّاحب بن عبّاد من خلال كتاب المحيط والزّمخشري في الأساس، والفيّومي في المصباح المنير.

(1) ينظر، المرجع السّابق، ص16_17.
(2) ينظر، عدنان الخطيب، المعجم العربيّ (بين الماضي والحاضر)، ص36_37.
(3) المرجع نفسه، ص37.

3) منهج الجوهريّ في الصّحاح: وأهمّ ما ورد على نحوه: العُباب للصّغاني، واللّسان لابن منظور.[1]

وعليه فإنّ المعجم العربيّ هو "مجموع الثّروة العظيمة الّتي خلّفها علماء العربيّة على مدى العصور فحفظوا لنا بها لغة العرب، لغة القرآن الكريم، اللّغة الّتي نفخر بها ونعتزّ " .[2]وأشهر من بنى هذا الصّرح العربيّ الضّخم هم: الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت170ه) بمعجم العين، ابن السكّيت(ت224ه) بمعجم الألفاظ، أبو عليّ القالي(ت356) بمعجمِ البارع، الأزهري (370ه) بمعجم تهذيب اللّغة والقائمة طويلة.

وأمّا القاموس فهي تسمية مرادفة للمعجم كانت انطلاقتها من لدن الفيروز آبادي وهو من رجال القرن التّاسع للهجرة.[3] وأخذت الكلمة تشيع "وانتهى الأمر بالمعنى المولّد لكلمة قاموس إلى إقراره من قبل مَجْمَع اللّغة العربيّة في القاهرة، وهكذا خرّج المعجم الوسيط الكلمة بما يلي: القاموس: البحر العظيم، وعُلِّم على معجم الفيروز آبادي وكلّ معجم لغويّ على التّوسّع " .[4]

" لا شكّ أنّ العرب لم يكونوا أوّل من ابتكر تأليف المعجم بل سبقتهم أمم بقرون مثل: الآشوريين والصّينيين، واليونان... وعلى بعض الأقوال الّتي أيّدتها الكشوف الأخيرة أنّ الآشوريين هم العرب القدماء، فإذا صحّ هذا فإنّ أسلاف العرب الأقدمين هم من أوائل مُبتكري المعجم، أو كانوا أوّل المبتكرين في هذا السّبيل " .[5] أمّا الصّينيون واليونان فقد عرفوا المعاجم قبل العرب، وأقدم معجم لدى الأمّة الصّينيّة هو «معجم يوبيان _yu pien وألّفه كويي وانج ku yu wang»،

(1) ينظر، عبد الله العلايلي، مقدّمة لدرس لغة العرب (وكيف نضع المعجم الجديد)، الفجالة، مصر، د ط، د ت، ص108_ 110.

(2) عدنان الخطيب، المعجم العربيّ(بين الماضي والحاضر) ، ص36.

(3) ينظر، المرجع نفسه، 49_50.

(4) المرجع نفسه، ص51.

(5) أحمد عبد الغفور عطّار، مقدّمة الصّحاح، ص40.

وأقدم المعجمات اليونانيّة «معجم يوليوس بولكس _yulius pollux، ومعجم هلاديوس helladius السكندري في القرن الرّابع للميلاد».[1]

الدلالة في اللّغة، والاصطلاح:

لغةً:

إنّ المرجعيّة الأولى لأيّ لفظ في اللّغة العربيّة هي صورته المعجميّة، فمن غير الممكن الوقوف على مدلولات اللّفظ في الاصطلاح، إلاّ عبر معانيه اللّغويّة المختلفة، والآتي عرضٌ لبعض الصّور اللّغويّة المرتبطة بمادّة «دلّ».[2]:

قال الخليل مُحدِّداً هذا الوضع اللّغوي: "... والرّجل يُدِلُّ على أقرانه في الحرب يأخذهم من فوق والبازي يُدِلُّ على صيده...والدّلالة: مصدر الدّليل (بالفتح والكسر)". [3]

وإبانةً للجذر عينه زاد صاحب المقاييس قائلاً: "الدّالُ واللّامُ أصلان: أحدهما إبانة الشّيء بأمارة تتعلّمها، والآخر اضطرابٌ في الشّيء. فالأوّل قولُهم: دلَلْتُ فلاناً عن الطّريق، والدّليل الأمارةُ في الشّيء، وهو بيّنُ الدِّلالة والدّلالة". [4]

وأورد ابن سيده (ت458هـ) في المُحكَم نصّاً حول الأصل «دلّ»: "... دَلَّهُ على الشّيء يدُلُّهُ دلاًّ ودِلالةً فاندلّ، سَدَّدَهُ إليه". [5]

(1) المرجع السّابق، ص41.

(2) ينظر، عبد الجليل منقور، علم الدّلالة (أصوله ومباحثه في التّراث العربيّ)، د ط، د ت، ص25.

(3) الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، ج8، ص8.

(4) أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللّغة، ج2، ص259.

(5) أبو الحسن المرسي، المحكم والمحيط الأعظم، تح: عبد الحميد هنداوي، ط1، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، د ت، ط1، ط1، ج9، ص270.

وقد عرض الزّبيدي (ت1205هـ) نصّاً للمفهوم اللّغوي ذاتِه اقتُطِفَ منه الآتي: "...دلّ يدلُّ: إذا هدى، ودلَّ يَدِلُّ إذا منّ بعطائِه. والأدلُّ: المنّانُ بِعَمَلِه... والدّلائل: جمعُ دَلِيلَةٍ، ويُجمَع الدّلالةُ على دَلالاتٍ" . (1)

وما سبق ذكره بيانٌ مفادُه أنّ المعنى اللّغويّ للدّلالة يتمثّل في الإشارة والإبانة، والهداية والتّسديد وهو ما وثّقه الباحث المحدَث منقور عبد الجليل: "ويترتّب على هذا التّصوّر المعجمي توفّر عناصر الهدي والإرشاد والتّسديد؛ أي توفّر مُرشِد ومُرشَد، ووسيلة إرشاد، وأمر مُرشَد إليه، وحين يتحقّق الإرشاد تحصُل الدّلالة، وتُقابِل اللّسانيات الحديثة هذا التّصوّر بتعيين الباثّ والمُستقبِل ووسيلة الإبلاغ والتّواصل وشروطها، ثمّ المَرجع المفهومي الّذي تُحيل عليه الرّسالة الإبلاغيّة" (2) .

اصطلاحاً:

وضع الجرجاني (ت816هـ) حدّاً جامعاً للدّلالة يقول فيه: "الدّلالة هي كون الشّيء بحالةٍ يلزم من العلم به العلم بشيءٍ آخر، والشّيء الأوّل هو الدّال والثّاني هو المدلول" (3) .ممّا يُفهمُ منه أنّ الدّلالة تعني كلّ أمر يُفهَمُ منه أمرٌ سِواه، الأوّل دالٌّ والثّاني مدلول.

فأمّا ابن جنّي فيعرِض إلى مفهوم الدّلالة من خلال تحديدِه للّغة بأنّها: "أصواتٌ يعبِّر بها كلّ قوم عن أغراضهم" . (4) إذ يرمي بلفظ «الأغراض» إلى «الدّلالات أو المعاني» الّتي يُبتغى انتقالها من مُتكلِّمٍ إلى مستمع.

(1) محمد الزّبيدي، تاج العروس (من جواهر القاموس)، تح: محمود محمد الطناحي، د ط، د ت،ج28، ص502.
(2) عبد الجليل منقور، علم الدّلالة (أصوله ومباحثه في التّراث العربي)، ص26.
(3) الشّريف الجرجاني، معجم التّعريفات، تح: محمّد صدّيق المنشاوي، دار الفضيلة، د ط، د ت، ص92.
(4) عثمان بن جنّي، الخصائص، ص33.

وهذا المفاد الاصطلاحيُّ للدّلالة الّذي جاء على لسان الرّاغب (ت425هـ): "الدِّلالة: ما يُتَوَصَّلُ به إلى معرفة الشّيء، كدلالة الألفاظ على المعنى ودِلالة الإشارات والرّموز والكناية والعقود في الحساب، وسواءٌ كان ذلك بقصدٍ ممّن يجعله دلالةً، أو لم يكن بقصد" .[1] ومن ذلك حادثة سقوط نبيّ الله سليمان عليه السّلام غير المقصود بعد أن وافته المنيّة واقفاً فدلّت الحركة على موت النّبيّ الكريم عليه السّلام مصداقاً لقول المولى جلّ جلاله﴿مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ﴾**[سبأ:14]** .[2]

علم الدّلالة:

"لم يعد علم الدّلالة الآن في حاجةٍ إلى أن يُدَافَع عن وُجوده، أو يُبرَّر الاهتمام به؛ فقد تخطّى هذه المرحلة منذ نصف قرن أو يزيد، وصار الآن يلقى من الاهتمام والدّراسة في كلّ أنحاء العالم ما يلقاه سائر فروع علم اللّغة" .[3] بعد أن طالت فترة الانتظار وتوالت دراسات الدّلالة راميةً تكوين علم قائمٍ بحدِّ ذاته، ورأى الباحثون أن لا مفرّ من مرور تلك الدّراسات بمراحلٍ أربع هي: صياغة نظرياتٍ واضحة ودقيقة، تحرّي الموضوعيّة في البحث والتّحقيق، البساطة في تفسير الظّواهر، شموليّة الوصف[4]، ولقد شهد هذا العلم الفتيّ تسميات متنوّعة من ذلك كلمة «semantices» وهي أبرز التّسميات في اللّغة الإنجليزيّة، أمّا في اللّغة العربيّة فكان التّوازي بين المصطلحين «علم الدّلالة، وعلم المعني» مُحتلًّا قمّة الهرم ثمّ تَلَتْه تسميات مُغايرة[5].

ويُعدُّ علم الدّلالة أو دراسة المعنى فرعاً من فروعِ علمِ اللّغة، وهو غاية عديد الدِّراسات (الصّوتيّة والفونولوجيّة، والنّحويّة، والقاموسيّة) بل إنّه قمّتها وهدفها الأسمى، والمعنى موضوعٌ

(1) الرّاغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، تح: صفوان عدنان داودي، دار القلم، دمشق، ط4، 1430هـ/2009م، ص228.
(2) ينظر، المرجع نفسه.
(3) أحمد مختار عمر، علم الدّلالة، عالم الكتب، القاهرة، ط5، 1998م، ص5.
(4) ينظر، أحمد مومن، اللّسانيات النّشأة والتّطوّر، ديوان المطبوعات الجامعيّة، بن عكنون، الجزائر، ط2، 2005، ص240_241.
(5) ينظر، أحمد مختار عمر، علم الدّلالة، ص11.

خاض فيه علماء ومفكّرون من شتّى الميادين؛ فكان مناط بحثِ الفيلسوف، والمنطقيّ، وعالم النّفس، والأنثروبولوجي...إلخ لأنّه محور الكلام في الحياة الاجتماعيّة، وهكذا يكاد كلُّ متكلِّم أن يُدليَ بدلوِه في هذه المشكلة؛ فأمّا كتاب «بريل» فقد كان السّبّاق في هذا الميدان إلّا أنّ مُؤلَّف «معنى المعنى» لصاحبيه: «س. ك. أوجدن، و. إ. أ ريتشاردز»_ الّذي ظهر سنة ثلاث وعشرين وتسع مائةٍ وألف؛ أي بعد ظهور الكتاب الأوّل بحوالي ستٍّ وعشرين سنة _ أحدث أضعاف ما أحدثه بحث بعنوان «مقالة في السيمانتيك لـ: ميشيل بريل» بشهادةِ مُؤرِّخي الدِّراسات اللّغويّة؛ فهو مثير الاهتمام المُحاطةِ به دراسة الدِّلالة، دون إغفالٍ لِما قدّمه من توضيح جليٍّ للتّعقيد الّذي يَسِمُ مشكلة طبيعة المعنى.[1]، ومع أوائل القرن التّاسع عشر ميلادي جاء «أدولف نورين» بعملٍ لغويٍّ ضخمٍ حمل عنوان «لغتنا» خصّص منه هذا العالِم السّوَيدي قسماً كبيراً لدراسة المعنى مُستخدِماً المصطلح «semology» مقسِّماً دراسته إلى نوعين: الدّراسة الوصفيّة الّتي عالج فيها نماذج مختلفة من السّويدية الحديثة، والدّراسة الإيتومولوجيّة للمعنى الّتي تُعالج تطوّره التّاريخي، ثمّ توالت الدّراسات الدّلاليّة وكانت فترة الثّلاثينات من القرن العشرين للميلاد الفترة الأكثر أهمّيّة في تاريخ السّيمانتيك أين عرف هذا العلم الحديث نضوجه.[2]وفيما يلي بعض التّعريفات الخاصّة بهذا العلم:

"إنّه علم لغويّ بحثٌ يركّز على تحليل معنى الكلمة أو العبارات أو جملة من وِجهةٍ لغويّةٍ صرفة، وعلى اكتشاف أوسعِ العلاقات بين الوحدات اللّغويّة المختلفة " [3] .

أو هو: "أحدث فروع اللّسانيات الحديثة ويُعنى بدراسة معاني الألفاظ والجمل دراسةً وصفيّةً موضوعيّة " [4] .

(1) ينظر، محمود السّعران، علم اللّغة (مقدّمة للقارئ العربي)، دار النّهضة العربيّة، بيروت، د ط، د ت، ص261_294.
(2) ينظر، أحمد مختار عمر، علم الدّلالة، ص23.
(3) عبد الغفّار حامد هلال، علم الدّلالة اللّغويّة، د ط، د ت، ص17.
(4) أحمد مومن، اللّسانيات النّشأة والتّطوّر، ص239.

كما جاء في صورةٍ أبسط: "هو دراسة المعنى ،والكلمة «semantique» المشتقّة من الكلمة اليونانيّة «semaino» «دلّ على» والمتولِّدة هي الأخرى من الكلمة «sema» أو «العلامة» هي بالأساس الصِّفة المنسوبة إلى الكلمة الأصل«sens» أو المعنى "[1].

ويُعرِّفه بعضهم بأنّه: "«دراسة المعنى» أو «العلم الّذي يدرس المعنى» أو ذلك الفرع من علم اللّغة الّذي يتناول نظريّة المعنى، أو ذلك الفرع الّذي يدرس الشّروط الواجب توفّرها في الرّمز حتّى يكون قادراً على حمل المعنى " . [2]إذن: "هو علمٌ يبحث في معاني الكلمات والجمل، أي في معنى اللّغة ".[3]

موضوع علم الدّلالة:

لقد شهد موضوع هذا العلم تطوّراً عبر تاريخه الحديث، ففي بدايته كان محطّ اهتمامه هو البحث في أصل معاني الكلمات وطرق تطوّر تلك المعاني، ثمّ تعدّاه إلى البحث عن الكيفية التي يظهر فيها المعنى في الكلمات والجمل على السّواء، وهذا ما يتّضح من خلال النّصوص التّالية[4]:

والمُستهَلّ مع أحمد مختار عمر الّذي يرى أنّ موضوع علم الدّلالة هو: "أيُّ شيء أو كلُّ شيء يقوم بدور العلامة أو الرّمز... " [5]مُبيِّناً الطّبيعة الّتي يمكن أن تأتي عليها هذه العلامات حيث إنّها قد تكون علامات أو رموزا غير لغويّة بيد أنّها تتضمّن دلالةً، كما يمكن أن تكون علامات ورموزا لغويّة، والرّمز في عرفِ البعض[6]: "مُثير بديل يستدعي لنفسه نفس الاستجابة

(1) فتح الله أحمد سليمان، مدخل إلى علم الدّلالة، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 1412هـ/1991م، ص7.
(2) أحمد مختار عمر، علم الدّلالة، ص11.
(3) محمّد علي الخولي، علم الدّلالة (علم المعنى) ، دار الفلاح، الأردن، عمان، د ط، 2001م، ص13.
(4) ينظر، أحمد مختار عمر، علم الدّلالة، ص11.
(5) المرجع نفسه.
(6) ينظر، المرجع نفسه، ص12.

الّتي قد يستدعيها شيء آخر عند حضوره " [1]. وانطلاقاً من ذلك قيل: إنّ الكلمات رموز نظراً لتمثيلها شيئاً غير نفسها، وعلى الأساس ذاته حُدِّدت اللّغة بأنّها: "نظام من الرّموز الصوتيّة العرفيّة " [2]، وقد مثّل الباحث عينه للرّمز غير اللّغوي بتجربة «سماع الجرس» عند «بالفوف» فقد توجّه الكلب إلى الطّعام بدل أن تكون وِجهته إلى الجرس نفسه، وعليه فالجرس هنا استدعى شيئاً غير نفسه، وقد مثّل للرّمز اللّغوي بتجربة «سائق السّيّارة والعائق» فهذا الأخير(العائق) هو الرّمز باعتباره لافتة تُعلن نهاية الطّريق، وهي تستدعي التّوقّف وهذا ما تدلّ عليه في ذاتها؛ غير أنّه إذا أتمّ السّائق الطّريق سيستدير حتماً مُصطدماً بالعائق؛ وبالتّالي فإنّ اللاّفتة قد استدعت شيئاً غيرها، ويسترسل أحمد مختار عمر بمزيدٍ من التّعمّق في علم الدّلالة مُشيراً للأهميّة الكبرى الّتي يوليها هذا العلم للّغة من بين أنظمة الرّموز نظراً لخصوصيّتها عند الإنسان.[3]

كما صرّح كلّ من «كلود جيرمان» و«ريمون لوبلون» أنّ الكلمة هي الموضوع الأوّل للدّلالة عند الكثيرين وبالتّالي سيصير للدّلالة في هذا الوضع دور أساسيّ يتمثّل في تحديد القواعد المنظِّمة لدلالة الكلمات فيما بينها[4] ليرجع صاحبا كتاب «علم الدّلالة» للإدلاء برأي ثانٍ لبعض الدّلاليين: "الدّلالة يجب أن تهتمّ أوّلاً وقبل كلّ شيء بالكلمة في حين هناك آخرون يرون أنّه حتّى ولو كانت دلالة الكلمات لها أهمّيتها ولها الأفضليّة إلّا أنّها لابدّ أن تكون موافقة لدراسة الدّلالة على مستوى التّعبير " [5]، وهو نصٌّ يُحيل إلى أنّ الطّريقة الّتي تترتّب وفقها معاني الكلمات حتّى تُكوِّن معنى جملةٍ ما هي ما سيكون أساسيّاً في الدّلالة؛ مثلاً لو جِيء بجملتي: «الرّجل يعطي

(1) المرجع السّابق.

(2) المرجع نفسه.

(3) ينظر، المرجع نفسه.

(4) ينظر، كلود جرمان، ريمون لوبلون، علم الدّلالة ، تر: نور الهدى لوشن، دار الكتب الوطنيّة، بنغازي، ط1، 1997،ص24.

1997،ص24.

(5) المرجع نفسه، ص30.

نقوداً إلى الولد» و«الولد يعطي نقوداً إلى الرّجل» فالمُلاحَظ تكوُّنُ الجملتين من الوحدات المعجميّة الأساسيّة نفسها غير أنّ المعنى يتباين في الجملة الأولى عنه في الثّانية. [1]

أمّا «بالمر» فقد كان مُستهلّ مقدِّمة كتابه «علم الدّلالة» تركيب كلِمٍ حول علم الدّلالة مفاده أنّ اهتمام هذا العلم مُنصبٌّ في الأساس على دراسة المعنى والكلمات وأنّه جزء من علم اللِّسانيات، باعتبار المعنى جزء من اللّغة. مصرِّحاً بعدم توفّر اتِّفاق عامّ حول طبيعة المعنى وجوانبه الّتي يمكن أن يتطرّق لها علم الدّلالة، أو حتّى الطّرق الّتي يمكن أن يتحدّد بها المعنى.[2]

نظريات علم الدّلالة:

دأبت الدِّراسات الّتي تناولت المعنى على النّزوع إلى تأسيس نظريّ للمبحث الدّلالي العامّ ساعيةً إلى تجسيد أهدافها ضمن رؤى تنظيرية تتوخّى الشّموليّة في الدِّراسة والعالميّة في الأهداف، وقد رسم اللّغويون المُحدَثون اتِّجاهاً أقرب ما يكون إلى الوضوح نحو إرساء علميّ لنظريّة الدّلالة، وليس لتناسي الجهد المضني الّذي قدّمه العالم اللّغوي «دي سوسير» في هذا المقام من سبيل؛ إذ سُجِّل أكبر الأثر في مسار علم الدّلالة الحديث بأفكاره وآرائه ومنهجه في الدِّراسة الألسنيّة، وأمّا سبب انتفاء الارتقاء بالنّظريّة العلميّة فهو وقوع الأفكار أسيرةً لمناخ فكريّ ساد العصر تارةً وافتقارها لصفة الشّموليّة في التّناول تارة تالية، وغربياً كان منبت النّظريات فمُنطلَقُه مع مدرستي «براغ» و«كوبنهاجن» اللّتين سجّلتا زخماً فكريّاً هائلاً شكّل للّغويين المُحدَثين الأساس والمُتّكأ الصّلد للانطلاق في خطٍّ اتِّجاه آكد ما يُقال عنه: أنّه يوشك ملامسة الإرساء العلمي لنظريّة الدّلالة[3]، "إنّ مصطلح النّظريّة اللّغويّة يدلّ على اكتمال في الرّؤية وحصول

(1) ينظر، المرجع السّابق.

(2) ينظر، أف. آر. بالمر، علم الدّلالة، تر: مجيد الماشطة، دار العمال المركزيّة، بغداد، د ط، د ت، ص3.

(3) ينظر، عبد الجليل منقور، علم الدّلالة (أصوله ومباحثه في التّراث العربيّ)، ص85.

النّتيجة العلميّة، غاية البحث واطِّراد في السّنن اللّغويّة" .[1] إلّا أنّ المبحث الدّلالي الحديث لايَزال بعيداً عن النّضوج التّامّ فلازالت حلقه تشهد إضافات علميّة تُقدِّم تأويلات يافعة للظّواهر اللّغويّة الخاصّة بالدّلالة، وعن النّظريات العربيّة فإنّها تُقيّد في حقل الدِّراسة الدّلاليّة على منوال تواجدها في سائر حقول العلم والمعرفة، وما يأتي عرضٌ لبعض النّظريات الّتي بعثت معايير أوّليّةً لمسألة المعنى وما يُحيطها، بقصرِ العرضِ على أبرز معالمِ النّظريّة وقواعدها وذلك بما يخدم غايات البحث وأهدافه.[2]

النّظريّة السياقيّة للمعنى: the contextual theory of meaning:

اقترنت هذه النّظريّة بالعلَم الإنجليزي «فيرث j.r. firth» وهو لغويّ متأثّر بالأنثروبولوجي البولندي المعروف «مالينوفسكي b.malinowski» في حديثه عن سياق الحال، وقد مثّلت النظريّة تحدّيا للنّظريّة البنائية(السّلوكيّة) الّتي ظهرت إبّان الأربعينات والخمسينات من القرن الماضي، وبغيةً للوقوف على المعنى الصّحيح للمفردة قالت النظريّة بأهمية الوقوف على السّياقات المتباينة الّتي ترد فيها. وقد ذهب فيرث إلى القول بأنّه لا يمكن التّوصّل إلى معنى نصّ لغويّ ما دون القيام بتحليل المستويات اللّغويّة المختلفة فيه، مع إظهار وظيفة هذا النّصّ اللّغوي ومقامه، ثمّ إظهار ما يتركه من أثر على المستمع؛ حيث إنّ إدراك المعنى عند فيرث يلزمه دراسة النّواحي الصّوتيّة والصّرفيّة والنّحويّة والقاموسيّة، والوظيفيّة الدّلاليّة لسياق الحال، وصولا إلى ضبط نتائج تلك الدّراسات، ثمّ يتمّ ضمّ تلك النّتائج بهدف إدراك المعنى المطلوب[3]، "فكلمة «ولد» مثلا لها معنى مركّب هو مجموع عدّة وظائف وخصائص تتبيّن في: الوظيفة الصّوتيّة والمعنى القاموسي والمعنى الصّرفي والمعنى النّحوي والمعنى الاجتماعي حسب اختلاف المقام والأحوال والملابسات

(1) المرجع السّابق.

(2) ينظر، المرجع السّابق، ص85_86.

(3) ينظر، حسين قاضي، دراسة دلاليّة في كتاب المفردات في غريب القرآن للرّاغب الأصفهاني(أطروحة مقدمة لنيل شهاة دكتوراه علوم تخصّص لسانيات عربيّة)، تح: نصر الدين بن زروق، د ط، 2016/2017، ص93_94.

الخارجية وشخصيّة المتكلّم والسّامع، والنّاحية الصّوتية من تنغيم وموسيقى، وما يصحب الكلام من حركات جسميّة " . [1]

ويرى فيرث بأنّ المعنى لا يتّضح من دون تسييق الوحدة اللّغوية؛ بمعنى إدراجها في سياقات متنوّعة. ومن ثمّ كان سياق الحال عنده مُشكَّلا من جملة العناصر المشكِّلة للحدث الكلامي، والمتمثّلة في التّكوين الثّقافي للمشاركين في هذا الحدث وما يحيط به من ظروف اجتماعيّة، وما يتركه من أثر على المشاركين فيه؛ إذ إنّه يفسّر المعنى بأنّه «الوظيفة في سياق».

والجدير بالذّكر في هذا المقام هو تفطّن علماء العرب القدامى إلى أهميّة المقام(سياق الحال) في فهم دلالات الألفاظ فقد أُثِر عنهم قولهم: لكلّ مقام مقال، ولكلّ مقتضى حال، على سبيل عناية المفسّرين منهم بأسباب النّزول من أجل فهم معاني القرآن الكريم.[2]

نظريّة الحقول الدّلاليّة:

يفرض التّواصل بين الأفراد وجود قائمة من الكلمات مُشترَكة بينهم يُدرِكون معانيها بكيفيّة متماثلة أو قريبة من ذلك، غير أنّ التّفاوت في درجة الفهم من شخصٍ لآخر يُشكِّل صعوبة في كسر جسيم البون القائم حول تحديد دلالات الكلمات المعنويّة فلا يحصل تشابه أو قرب في فهم الكلمات إلاّ حينما يكون استيعابها مُماثلاً أو مُتشابهاً.[3]انطلاقاً من عدِّ: "الحقل «الحقل الدّلالي semantic field» أو «الحقل المعجميlexical feild» مجموعة من الكلمات الّتي ترتبط دلالاتها، وتُوضَع عادةً تحت لفظ عامٍّ يجمعها " . [4]مثال ذلك: المصطلح العامّ «لون» الّذي تقع تحته كلمات الألوان في اللّغة العربيّة فتضمّ ألواناً على غرار: الأحمر، الأزرق، الأخضر...إلخ

(1) المرجع السّابق، ص94.

(2) ينظر، المرجع نفسه، ص94_95.

(3) ينظر، أحمد عزّوز، أصول تراثيّة في نظريّة الحقول الدّلاليّة، د ط، د ت، ص7.

(4) أحمد مختار عمر، علم الدّلالة، ص79.

وللحقل الدّلالي عديد المفاهيم على نحو نصٍّ لألمان يقول فيه: "هو قطاع مُتكامل من المادّة االلّغويّة يعبِّر عن مجال معيَّن من الخِبرة" . [1] ،وآخر هو لـ «لاينز» "مجموعة جزئيّة لمفردات اللّغة" [2]، وتكمن غاية التّحليل للحقول الدّلاليّة في احتواء كلِّ الكلمات الّتي تنضوي تحت حقلٍ معيّن، وإبراز الرّابط بين كلٍّ منها وصلاتها بالمصطلح العامّ، وقد حدّد أصحاب هذه النّظريّة جملة من المبادئ منها:

1) ما من وِحدة مُعجميّة عُضو في أكثر من حقل.
2) لا وحدة معجميّة لا تنتمي إلى حقل دلاليّ معيّن.
3) التّغافل عن السِّياق الّذي ترِد فيه الكلمة أمر لايصحّ.
4) استحالة دراسة المفردات مستقلّة عن تركيبها النّحوي.

ولم تشهد هذه الفكرة (الحقول الدّلاليّة) تبلورها إلى غاية العِشرينات والثّلاثينات من القرن العشرين على يد علماء سويسريين وألمان[3]، بيد أنّه مبحث لم يُوصَل فيه بعد إلى تأسيس نظريّة دلاليّة جامعة رغم الجهود اللّغويّة لعلماء الألسنيّة والدّلالة، غير أنّها نظريّة أسهمت بشكلٍ بارز في إيجاد حلول لمُشكلات لغويّة مُستعصية واتّسمت بالتّعقيد إلى زمن غير بعيد على سبيل: الكشف عن الفجْوات المعجميّة المتواجدة داخل الحقل الدِّلالي (عدم المقدرة على إيصال فكرة معيّنة وشرحها).[4]

نظريّة التّحليل التّكويني للمعنى componential analysis of meaning :

من أعلامها« كاتس وفودر Jerrold kadz-Gerry fodor» وهما تلميذا تشومسكي، وتنظر هذه النّظريّة إلى معنى الكلمة على أنّه جملة من العناصر التّكوينيّة، أو المكوّنات الدّلاليّة القائمة

(1) المرجع السّابق.
(2) المرجع نفسه.
(3) ينظر، المرجع نفسه، ص80_82.
(4) ينظر، عبد الجليل منقور، علم الدّلالة(أصوله ومباحثه في التّراث العربي)، ص79_81.

على التّشجير؛ أي تفريع كلّ معنى من معاني الكلمة إلى سلسلة من العناصر الأوّليّة منظَّمة بصفة تتيح لها بأن تتقدّم من العامّ إلى الخاصّ، على نحو كلمة «رجل» الّتي تُحلَّل بحسب هذه النّظريّة على النّحو الآتي: اسم/ محسوس/ حيّ/ ذكر/ بالغ...

أمّا كلمة «امرأة» فتحلّل على النّحو الآتي: اسم/ محسوس/ حيّ/ أنثى/ بالغ...

فالملاحَظ اختلاف كلمة امرأة عن نظيرتها رجل في مكوِّن واحد هو الجنس مع اشتراكهما في سائر المكوّنات الأخرى؛ لذا يرى أصحاب هذه النّظريّة أنّ القيام بعمليّة التّحليل التّكويني للمعنى يلزمه تتبُّع الخطوات التّالية:

_ جمع عديد الكلمات المتقاربة الّتي يمكن أن تصنع حقلا دلاليّا خاصّا لاتّحادها في مجموعة من المكوّنات الدّلاليّة.

_ تحديد المكوّنات الّتي تُمكِّن من التّمييز بين هذه الألفاظ ويتمّ ذلك وقوفا على أبرز ملامح كلّ واحدة منها بعد استقراء سياقاتها المختلفة.

_ وضع هذه المكوّنات في شكل جدول مع تبيان حظّ كلّ مفردة منها.

وتُعتبر عمليّة التّحليل إلى عناصر امتدادا لنظرية الحقول الدّلاليّة على رأي أحمد مختار عمر وكثير من الدّارسين كمحاولة لوضع النّظريّة على طريق أشدّ ثباتا، وتبقى إمكانيّة قبول نظريّة الحقول دون هذه النّظريّة الأخيرة مع إمكانيّة حصول العكس[1] "فمن الممكن القول إنّ مجموعات صغيرة معيّنة من الكلمات تشكّل حقلا، وتملك علاقات متنوّعة بينها دون أن نسير بالتّحليل إلى مرحلة تحديد العناصر التّكوينية لكلّ كلمة، ومن الممكن كذلك أن يقوم المرء بتحليل الكلمة إلى عناصرها التّكوينيّة، دون الاعتراف بفكرة الحقل المعجمي أو بأيّ دور تؤدّيه " . [2]

(1) ينظر، حسين قاضي، دراسة دلالية في كتاب المفردات في غريب القرآن للرّاغب الأصفهاني، ص97_98.

(2) المرجع نفسه، ص98.

وأهمّ ما تتناوله هذه النّظريّة بالدّرس:

_ الدّالّ ذو المدلول الواحد، أو المُتباينِ كما يسمّيه العرب.

_ التّضمين الّذي يدلّ على الدّالّ الّذي يكون مدلوله عامّا؛ لانضواء دلالات متعدّدة تحته.

_ التّرادف أو ما يعرف بالتّرادف الكامل النّادر الوقوع خاصّة عند المحدثين.

_ تعدّد المعنى الّذي لا يُفهم بمنأى عن السّياق، والمشترك اللّفظي، والتّضادّ الّذي يندرج تحته بوجه عامّ.[1]

وقد حاولنا في الفصل التّطبيقي رصد الظّاهرة ودورها باستقراء مؤلّف فريد في التّراث العربي لواحد من الجهابذة المُحقّقين لمفردات ألفاظ القرآن الكريم الغريبة؛ بُغية تحصيل أهميّة ظاهرة التّضمّن في الكشف عن المعنى، انطلاقا من تفسيره للألفاظ الغريبة وتوضيح معانيها، وذلك من خلال كشفه عن الفروق الدّقيقة بين معاني الكلمات المتشابهة والمتقاربة الّتي لطالما خِيلت مترادفة، ولأنّ الغريب من بين أهمّ الموضوعات الّتي يعالجها علم الدّلالة الحديث؛ باعتباره العلم الّذي يُعنى بدراسة المعنى وقضاياه سواء أتعلّق الأمر بمعاني المفردات، أم بمعاني التّراكيب.

(1) ينظر، المرجع السّابق.

الفصل الأوّل

علاقة التضمّن عند المعجميّين

علاقة التّضمّن عند المعجميين:

توطئة:

أجزل الملك عزّ وجلّ للإنسان المِنح، ففضلا عمّا حباه به من نعمة العقل عزّز له العطاء وأمدّه ذخيرة لفظيّة تحوي معانٍ متشابهة ودلالات متقاربة، يلجأ إليها آن تواصله مع غيره من بني البشر المالكين لمعجم مشترَك اعتبارا بأمّة دون غيرها، فقد تختلف دلالة اللّفظة من وسط لغويٍّ لآخر، بل قد يحصل ذلك بين أفراد ينتمون لبيئة لغويّة واحدة، كما تتفاوت درجة استيعاب دلالات الكلمات من شخص لآخر وهي تربطها علاقات دلاليّة متعدّدة: "العلاقات الدلاليّة مصطلح حديث يدلّ على العلاقات بين الكلمات من نواحٍ متعدّدة كالتّرادف والاشتراك والتّضادّ ونحو ذلك، وقد تولّد هذا المصطلح من دراسة الحقول الدّلاليّة "[1] والسّياق هو الحَكم في عمليّة الفهم: "يرى «ريتشاردز» أنّ الكلمة لا يمكن أن تُفهم إلّا من خلال السّياق؛ وعلاقاتها مع الكلمات الأخرى، كما أنّ الشّكل لا يمكن أن ينفصم عن الموضوع "[2] وإنّ معنى الكلمة هو حصيلة علاقاتها بالكلمات الأخرى في نفس الحقل الدّلاليّ، والقصد هو مكانها في نظام العلاقات الّتي تربطها بكلماتٍ أخرى في المادّة اللّغويّة، ولذلك يعدّ من الضّروريّ عند أصحاب نظريّة الحقول الدّلاليّة بيان أنواع العلاقات داخل كلّ حقل دلاليّ، ولا تخرج هذه العلاقات في أيٍّ حقل عمّا يلي:

1) التّرادف synonymy
2) الاشتمال أو التضمّن lyponymy
3) علاقة الجزء بالكلّ part–whole relation
4) التّضادّ antonymy
5) التّنافر incompatibility [3]

(1) أحمد محمّد قدّور، مبادئ اللّسانيات، دار الفكر، دمشق، ط3، 1429هـ/2008م، ص370.
(2) صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النصّ، عالم المعرفة، الكويت، د ط، د ت، ص138.
(3) ينظر، أحمد مختار عمر، علم الدّلالة، ص98.

ولسيبويه كلمة في ذلك: "اعلم أنّ من كلامهم اختلاف اللّفظين لاختلاف المعنيين واختلاف اللّفظين والمعنى واحد، واتّفاق اللّفظين واختلاف المعنيين" . [1] ذلك على مثل قولهم: "ذلك أنّه يسمّى الشّيئان المختلفان بالاسمين المختلفين؛ وذلك أكثر الكلام، كرجل وفرس. وتُسمَّى الأشياء الكثيرة باسم واحد(المشترك اللّفظيّ) نحو عين الماء، وعين المال، وعين السّحاب، ويُسمَّى الشّيء الواحد بالأسماء المختلفة(المترادفة) نحو السّيف والمهنّد والحسام" . [2]

بين أحادية اللّفظ والمعنى وتعدّدها:

وفيما يأتي رصد لبعض الظّواهر المكتنَفة ضمن مصطلح العلاقات الدّلاليّة والّتي كانت محلّا للجدل والخلاف منذ الأزل.

ظاهرتا المشترك اللّفظي والأضداد:

تمّ التّطرّق فيه إلى موقف اللّغويين من القدماء والمحدثين حول الظّاهرتين:

المشترك اللّفظيّ عند القدماء:

معنى الاشتراك: "أن تكون اللّفظة محتملة لمعنيين أو أكثر، كقوله جلّ ثناؤه:﴿فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ﴾**[طه: 39]** فقوله: «فَلْيُلْقِه» مشترك بين الخبر وبين الأمر، كأنّه قال: فاقذفيه في اليمّ يلقه اليمّ. ومحتمل أن يكون اليمّ أُمِر بإلقائه" . [3] هذا مفهوم الاشتراك أتى ابن فارس على ذكره في كتابه.

(1) عمرو بن عثمان سيبويه، الكتاب، تح: عبد السّلام محمّد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1408هـ/1988م، ج1، ص24.

(2) فايز الدّاية، علم الدّلالة العربيّة(النظريّة والتّطبيق)، دار الفكر، دمشق، د ط، 1996، ص77.

(3) أحمد بن فارس، الصّاحبي(في فقه اللّغة العربيّة ومسائلها وسنن العرب في كلامها)، تح: عمر فاروق الطّبّاع، دار المعارف، بيروت، ط1، 1414هـ/1993م، ص262.

وقد ذكر السّيوطيّ تحديدا له قال فيه: "بأنّه اللّفظ الواحد الدّالّ على معنيين مختلفين فأكثر دلالة على السّواء عند أهل تلك اللّغة" .[1]

كما جاء حدّه في كتاب التّعريفات: "المشترك: ما وُضع لمعنًى كثير بوضع كثير كالعين لاشتراكه بين المعاني، ومعنى الكثرة ما يقابل الوحدة لا ما يقابل القلّة فيدخل فيه المشترك بين المعنيين فقط كالقُرء والشّفق، فيكون مشتركا بالنّسبة إلى الجميع ومجملا بالنّسبة إلى كلّ واحد" .[2]

عالج القدماء ظاهرة المشترك اللّفظيّ منذ وقت مبكّر، فقد برزت في اللّغة العربيّة كثير المؤلّفات حوله، فمنهم من جعل القرآن العظيم وجهة دراسته له، ومنهم من درسه في الحديث النّبويّ الشريف، وفريق ثالث درسه في عموم اللّغة العربيّة ونذكر أقدم ما وصلنا من النّوع الأوّل «الوجوه والنّظائر أو الأشباه والنّظائر» في القرآن الكريم لمقاتل بن سليمان البلخيِّ(ت150هـ)، و«الوجوه والنّظائر في القرآن» لهارون بن موسى الأزدي الأعور(ت170هـ) وهما معنونان على غرار كثير الكتب في النّوع ذاته[3]؛ فأمّا النّظائر فهي للّفظ، والوجوه في المعاني، وقد جعل بعضهم ذلك من أنواع معجزات القرآن؛ بحيث صرِّفت الكلمة الواحدة إلى عشرين وجها، وأكثر وأقلّ، ولا وجود لذلك في كلام البشر[4]على خلاف النّوع الثّاني الّذي لم يصلنا منه سوى كتاب «الأجناس من كلام العرب وما اشتبه في اللّفظ واختلف في المعنى» لأبي عُبَيْد القاسم بن سلّام(ت224هـ)، وطابع المؤلِّف فيه الاختصار الشّديد، وقد كان الأصمعي واليزيدي وأبو العثيمل(ت204هـ) وكراع النمل(ت310هـ) روّادا في النّوع الثّالث وكتابا هذين الأخيرين على التّرتيب هما: «كتاب ما اتّفق لفظه واختلف معناه»، «المنجد في اللّغة»[5] "وهو أقدم كتاب شامل

(1) جلال الدّين السّيوطي، المزهر(في علوم اللّغة وأنواعها)، تح: محمّد أحمد جاد المولى بك، علي محمّد البجاوي، محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، د ط، 1406هـ/1986م، ج1، ص369.

(2) الشّريف الجرجاني، معجم التّعريفات، ص180.

(3) ينظر، أحمد مختار عمر، علم الدّلالة، ص147.

(4) ينظر، أبو بكر السّيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تح: مركز الدّراسات القرآنيّة، د ط، د ت، ج3، ص976.

(5) ينظر، أحمد مختار عمر، علم الدّلالة، ص151.

يصلنا في موضوع المشترك اللّفظيّ، إذ يحتوي على قُرابة تسعمائة كلمة، في حين يحتوي كتاب أبي عُبيد على حوالي 150 كلمة، وكتاب أبي العُثَيْمل على حوالي 300 كلمة " .[1]

ومثبتا كان الجرجاني والآتي من الكتاب يحصّله: يُسمّى الاشتراك بين الشّيئين «مُماثَلة» إن كان اشتراكا بالنّوع على حدِّ اشتراك زيد وعمرو في الإنسانيّة، أمّا إن كان الاشتراك بالجنس فيدعى «مجانسة» كاشتراك لفظتي: «إنسان وفرس» في الحيوانيّة، وإن كان الاشتراك بالعرض إن كان في الكمِّ يسمَّى «مادّة» كاشتراك «ذراعٍ من خشب» و«ذراع من ثوب» في الطّول، ويُعرَف بتسميةِ «مناسبة» حين يكون اشتراكاً بالمضاف على نحو: اشتراكِ «زيد وعمرو» في بُنُوّةِ بكر، وإن جاء الاشتراك في الكَيف «فالمشابهة» هي تسميته كالسّواد المشترِك فيه الإنسان والحيوان، ولمّا يكون بالشّكل فتسميته هي «المُشاكلة» على سبيل اشتراك الأرض والهواء في الكُرَيَّة، أمّا اشتراك الموازنة فيكون بالوضع المخصوص فلا يختلف البُعد بين المشتركين كسطح كلِّ فلكٍ، وإن كان بالأطراف سُمِّيَ مُطابقةً كاشتراك «الإِجَانَتَيْن»[2] في الأطراف.[3]

وبِطرح السّيوطي إشكالا في المسألة السّادسة من المزهر يتّضح ميله مدَّ الإثبات أين استفهم قائلا: هل يجب أن يكون لكلّ معنى لفظ؟ مُزيلا بعده الإبهام المشكِّلِ حوله بنصِّ قولٍ أسنده للإمام فخر الدّين الرّازي وأتباعه: "لا يجب أن يكون لكلّ معنى لفظ؛ لأنّ المعاني الّتي يُمكن أن تُعقَل لا تتناهَى، والألفاظ متناهية؛ لأنّها مُركَّبة من الحروف، والحروف متناهية، والمركَّبُ من المُتناهَى متناهٍ، والمتناهَى لا يَضبط مالا يتناهَى؛ وإلّا لزم تناهي المدلولات " .[4]

(1) أبو الحسن الكراع، المنجد في اللّغة(أقدم معجم شامل للمشترك اللّفظيّ)، تح: أحمد مختار عمر، ضاحي عبد الباقي، عالم الكتب، القاهرة، ط2، 1988م، ص22.

(2) الإجَّانة : إناء تُغسل فيه الثّياب، ينظر، مجمّع اللّغة العربيّة، المعجم الوسيط، مكتبة الشّروق الدّوليّة، جمهوريّة مصر العربيّة، ط4، 1425هـ/2004م، ج1، ص7.

(3) الشّريف الجرجاني، معجم التّعريفات، ص180.

(4) جلال الدّين السّيوطي، المزهر(في علوم اللّغة وأنواعها)، ص41.

وباستحالة وقوعه في لغة واحدة قال «ابن درستويه»(ت347هـ): "مُحال أن يختلف اللّفظان والمعنى واحد كما يظنّ كثير من اللّغويّين والنّحويّين "[1] ناظراً عِلَلاً في توجُّهِه القائل بانتفاء حصوله في كلام العرب:

_هو باب ليس يَجيء شيء منه إلّا على لغتين مختلفتين.

_احترازاً من إدخال اللَّبس في الكلِم.

_الإبانة عن المعاني هي حكمة العليم من وراءِ وضع اللّغة وفي ذلك تَعْمِيَةٌ وتغطية.

مدعِّما ما استنصر له بلفظة «وجد» وهي من أقوى حجج مخالفيه وما يراه أنّ معانيها كلَّها شيءٌ واحد؛ وهو إصابة الشّيء خيرِه ومُرِّه.[2]

المشترك اللّفظي عند المحدثين:

هذه تعاريف منتقاة من عديد المفاهيم الّتي ألصقها المحدثون بظاهرة الاشتراك اللّفظيِّ:

"هو ما اتّحدت صورته واختلف معناه، على عكس المترادف "[3]، أو هو: "اللّفظ الواحد الدّالّ على معنيين مختلفين فأكثر دلالةً على السّواء عند أهل تلك اللّغة ".[4] وفي غير لفظ هو: "نوعٌ من الكلمات... متّحدة الصّورة مختلفة المعنى...لأنّ الكلمة الواحدة مع محافظتها على لفظها وأصواتها تعبِّر عن أكثر من معنى ".[5]

وغير بعيد قال أحد المحدَثين معرِّفا المشترك: "وذلك بأن يكون للكلمة الواحدة عدّة معانٍ تُطلَق على كلّ واحدة منها على طريق الحقيقة لا المجاز ".[6]

(1) المصدر السّابق، تح: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1، 1418هـ/1998م، ص303.

(2) عبد العال سالم مكرم، المشترك اللّفظي(في الحقل القرآني)، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، ط1، 1417هـ/1996م، ص14.

(3) توفيق محمّد شاهين، المشترك اللّغوي(نظريّة وتطبيقا)، مطبعة الدّعوة الإسلاميّة، القاهرة، ط1،1400هـ/1980م، ص28.

(4) المرجع نفسه.

(5) إبراهيم أنيس، في اللّهجات العربيّة، مكتبة الأنجلو المصريّة، القاهرة، د ط، د ت، ص166.

(6) علي عبد الواحد وافي، فقه اللّغة، نهضة مصر، ط3، 2004م، ص145.

أمّا تعدّد المعاني والتّجانس فهو الاصطلاح الّذي أطلقه عبد المجيد الماشطة على هذه العلاقة الدّلاليّة، ولَفِظَ حدَّه قائلا: "أن يكون للكلمة أكثر من معنى"[1] وقد عنى بمفردة «التّجانس» في تسميته: وجود عدّة كلمات بالشّكل نفسه، معدِّدا لكلمة «عين» وهي المثال الّذي فسّر به حدّ «التّجانس» معانٍ ثلاثة(عضو البصر عند الأحياء، بئر، أو عضوا في مجلس الأعيان) مُتْبِعًا الشّاهد بطرح إشكال فحواه أنّا أمام كلمة واحدة بثلاثةِ معانٍ أم أنّنا أمام ثلاث كلمات للمبنى ذاته؟ موضِّحا الالتباس بعبارته: "إن ارتبطت المعاني الثّلاثة فيما بينها كان الأمر تعدّد معانٍ وإلّا فهو تجانس"[2]؛ أي إنّه وَالَى المثبتين طريقهم مُغيِّرا الاسم فقط.

كما مَيّز أحمد مختار عمر أنواعًا أربعةً يأخذها المشترك عند المحدَثين تَدليلًا على الإثبات:

"_ وجود معنى مركزيّ للّفظ تدور حوله عدّة معانٍ فرعيّة أو هامشيّة.

_ تعدّد المعنى نتيجة لاستعمال اللّفظ في مواقف مختلفة.

_ دلالة الكلمة الواحدة على أكثر من معنى نتيجة للتّطوّر في جانب المعنى.

_ وجود كلمتين يدلّ كلّ منهما على معنى، وتتحدّث صورة الكلمتين نتيجةَ تطوّرٍ في جانب النّطق ".[3]

وعلى خطى الإثبات يسير «بالمر» مُبصِرا الصّعوبة في التّعامل مع تماثل المعنى sameness للدّالّ الواحد على غير البادي له في المعاني المتنوِّعة للكلمات العديدة فهذا النّوع من التّباين للمعنى فُطر عليه البشر: "لكن القضيّة هي أنّ الكلمة نفسها قد يكون لها مجموعة من المعاني المختلفة وهذا هو المشترَك اللّفظيُّ"[4]؛ فالكلمة الواحدة لها أن تُغَطّي منطقة دلاليّة واسعة، والاستعارة هي أكثر الأنواع الذّائعة الصَّيْت في هذه العلاقة، ومن أمثلتها اللّافتة مجموعة الكلمات الخاصّة بأجزاء الجسم من غير انتفاء إمكانية إحالة بعضها إلى شيء آخر مناسب

(1) مجيد ماشطة، من علم المعاني إلى علم الدّلالة، دار المحبّة، دمشق، د ط، 2009م/1429هـ، ص93.

(2) المرجع نفسه، ص94.

(3) أحمد مختار عمر، علم الدّلالة، ص147.

(4) أف. آر، بالمر، علم الدّلالة(إطار جديد)، ص100.

كالرِّجل للسّرير على غير استطاعة إسناد العين له، ويبقى التّحقّق للشّواهد في لغاتٍ من دون أخرى.[1]

ومن لُغويِي الغرب من سمّاه بـ: البوليزيميpolysemey أي تعدُّد الدّلالة للكلمة الواحدة وحملها نتيجةً لاكتسابها معنًى أو معانٍ جديدة ولهذا(البوليزيمي) مَثّل أولمان بكلمة «operation» حيث إنّ عُرْفَ المتكلِّم باللّغة الإنجليزية يعدّها كلمة واحدة مع أنّها حين تُسمَع منعزلة عن السّياق تتعدّد مقاصدها(عمليّة جراحيّة، عمليّة استراتيجيّة، أو صفقة تجاريّة) ولا يُدرِك المُتلقّي القصدَ الأصحّ من وراء إطلاقها.[2] والهومونومي homonoymy أي: "إنّنا أمام كلمات عِدَّة لها الشّكل نفسه"[3]؛ من عين كلمة «mail» بمعنى «دِرع، دفع، نِصف، مركز...» ويبقى أنّ مادّة المصطلح الأوّل لها مَدخل منفرد، في حين أنّ نظيرَتها سيكون لكلّ كلمة فيها مدخل.[4]

وممّا ورد في تقسيم أولمان للمشترك ما أسماه «تغييرات في الاستعمال» أو «جوانب متعدِّدة للمعنى الواحد» ضاربًا مَثلا لذلك هو «الحائط» الكلمة المتنوِّعة المدلولات بحسب مادّتها ووظيفتها، وبحسب خلفيّة المستعمِل واهتماماته، ويُنظَر إلى هاته الاستعمالات المختلفة على أنّها مظاهر متلاصقة أو متقاربة لكلِّ مُتَّحِدٍ متلاحم، وهي أكثر فكرةٍ أثارت النّقاش بين علماء الدِّلالة، وعبّر كلٌّ منهم عنها بطريقةٍ مُغايِرة.[5]

الأضداد عند القدماء:

تعدّ ظاهرة الأضداد احدى أضرب المشترك[6]، و يراد بها "الألفاظ الّتي تقع على الشّيء وضدّه في المعنى"[7]، فـ: "آيته أن تختلف دلالتا اللّفظ المشترك اختلافا يبلغ الغاية، حتّى تكون

(1) ينظر، المرجع السّابق، ص102_103.
(2) ينظر، أحمد مختار عمر، علم الدّلالة، ص165_166.
(3) أف.آر، بالمر، علم الدّلالة(إطار جديد)، ص105.
(4) ينظر، المرجع نفسه.
(5) أحمد مختار عمر، علم الدّلالة، ص164_165.
(6) ينظر، جلال الدّين السّيوطي، المزهر(في علوم اللّغة وأنواعها)، ص387.
(7) أبو الطّيّب اللّغوي، كتاب الأضداد في كلام العرب، تح: عزة حسن، دار طلاس، دمشق، ط2، 1996م، ص18.

إحداهما نقيض الأخرى "[1]، وليس المقصود ههنا ما يرمي إليه المحدثون من تخالف antonymy يتحقّق بوجود لفظين يختلفان في النّطق، ويتضادّان في المعنى، وإنّما التّضادّ محلُّ الحديث ما حوته المؤلَّفات القديمة من دلالة اللّفظ الواحد على معنيين متضادّين[2]، من نحو المنصوص عليه عند ابن فارس في فقه اللّغة: "من سنن العرب في الأسماء أن يسمّوا المُتضادَّيْن باسم واحد "[3]، كلفظ «الجَوْن» المستعمل للدّلالة على «الأسود» و «الأبيض».

وممّا ينضوي تحت هذا الباب أيضا: الجذر «نَشَحَ» والآتي نصّه: "النّون والشّين: أصلٌ صحيحٌ، إلّا أنّه مختَلَفٌ في تفسيره على التّضادّ، فقال قوم: نَشَحَ الشَّارِبُ، إذا شرِب حتّى امتلأَ. وسِقَاءٌ نَشَّاحٌ: مُمْتَلِئٌ. وقال آخرون: النُّشوحُ: شُرْبٌ دون الرِّيّ " .[4]

عُرفت ظاهرة الأضداد عند العرب منذ القِدم، فلاقت قَدْرا واسعا من الاهتمام والاستحسان، إذ أُلِّفت فيها كثير المصنَّفات والكتب منذ عصر الجمع والتّدوين، يقول أبو الطيّب اللّغوي: "وقد وُضعت قبل كتاب الأضداد هذا كتب عديدة في هذا الموضوع، ألّفها علماء كبار أفذاذ من علمائنا الأقدمين " .[5]

وقد شهدت السّاحة اللّغويّة جدلا واسعا بين العلماء إزاء ظاهرة الأضداد، فاختلف القدماء بين مثبت ومنكر، وانقسم المثبتون أنفسُهم بين مضيّق وموسّع، فكان المؤلّفون في الظّاهرة والمثبتون لها جماعة من أئمّة اللّغة على غرار قطرب(ت206هـ)، والتوزي(ت230هـ)، وأبو بكر بن الأنباري(ت327هـ)، وأبو البركات بن الأنباري(ت577هـ)، وابن الدّهّان(ت569هـ)، والصّغاني(ت650هـ).[6] فقد جعل أبو بكر الأنباري كتابا فيه، قال في أوّله: "هذا كتاب ذكر

(1) غازي مختار طليمات، في علم اللّغة، دار طلاس، دمشق، ط2، 2000م، ص218.
(2) ينظر، أحمد مختار عمر، علم الدّلالة، ص191.
(3) السّيوطي، المزهر(في علوم اللّغة وأنواعها)،ص387.
(4) أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللّغة، ص429.
(5) أبو الطّيّب اللّغوي، كتاب الأضداد في كلام العرب، ص13.
(6) ينظر، جلال الدّين السّيوطي، المزهر(في علوم اللّغة وأنواعها)، ص397.

الحروف الّتي تُوقِعُها العرب على المعاني المتضادّة؛ فيكون الحرف منها مؤدِّيا على معنيين مختلفين " .[1]

وقد لجأت العرب إلى هذا النّوع من العلاقات؛ لأنّ الكلام العربيَّ يُصوِّبُ بعضُه بعضا، كما يتعلّق أوّله بآخره، ولا يُدرَك معنى الخطاب العربيِّ إلّا باستيفاء جميع حروفه؛ لذا جاز أن تقع اللّفظة الواحدة على معنيين متضادّين، هذا هو الردّ على المنكرين للتّضادّ من أهل البدع والزّيغ والازدراء بالعرب، فهم يرون في لجوء العربيِّ لذلك حكمة ناقصة وبلاغة قليلة والتباسًا ملتقّا بالخطاب آن الحوار، وبتوظيفه له يُلْبِسُ الأمرَ على محاورِه ويَجعلُه يظنّ أنّ إدراكَه ناقص نظرا لاعتوار اللّفظة معنيان، غير أنّ مراد العربيّ من ذلك هو معنى واحد، والسّياق هو الموضِّح لخصوصيّة أحد المعنيين دون الآخر[2]، فمن ذلك قول الشّاعر:

كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا المَوْتَ جَلَلُ وَالفَتَى يَسْعَى وَيُلْهِيهِ الأَمَلُ[3]

فالمتقدِّم قبل لفظة «جلل» والمذكور بعدها يُبيّن أنّ المفردة تدلّ على كلّ شيء هيِّن يسير ما خلا الموت، ولا يأتي ذو عقل وتمييز ليقول أنّ «الجلل» يحمل معنى «العظمة» هنا.[4]ويزيد نصّ نصّ لابن سيده ردّ فيه على أحد الشّيوخ المنكرين وقوعَه في اللّغة برهنة للآنف ذكره: "والقول في هذا أنّه لا يخلو في إنكار ذلك ودفعه إيّاه من حجّة من جهة السّماع بل الحجّة من هذه الجهة عليه لأنّ أهل اللّغة كأبي زيد وغيره وأبي عبيدة والأصمعي ومن بعدهم قد حكوا ذلك وصُنِّفت فيه الكتب وذكروه في كتبهم مجتمعا ومفترقا "[5]، وجرى ابن فارس في التّيار ذاته وبرهنته في الآتي كتابته : إنّ "المعنيين لو اختلفا لما جاز أن يُعبَّر عن الشّيء بالشّيء، فإنّا نقول إنّما عُبِّر عنه من طريق المشاكلة، ولسنا نقول: إنّ اللّفظتين مختلفتان فيلزمنا ما قالوه. وإنّما نقول: إنّ في كلّ

(1) محمّد بن القاسم الأنباري، كتاب الأضداد، تح: محمّد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصريّة، صيدا، بيروت، دط،1407ه/1987م، ص1.

(2) ينظر، جلال الدّين السّيوطي، المزهر(في علوم اللّغة وأنواعها)، ص398.

(3) البيت للَبيد، ينظر، المصدر نفسه.

(4) ينظر، المصدر نفسه.

(5) أبو الحسن المرسي، المخصّص، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط3، د ت، سِفر13، ص259.

واحدة منهما معنى ليس في الأخرى "[1]، لِما جرت العادة عليه عند العرب فمن سننهم إطلاق المصطلح الواحد على لفظين متضادّين.

وممّن عَنّى نفسه بالردّ على منكري الأضداد فصار مثبتا «ابن الأنباري» القائل: "كلام العرب يصحِّح بعضُه بعضًا، ويرتبط أوّله بآخره، ولا يُعرَف معنى الخطاب منه إلّا باستيفائه، واستكمال جميع حروفه؛ فجاز وقوع اللّفظة الواحدة على المعنيين المتضادَّيْن؛ لأنّها تتقدّمُها ويأتي بعدها ما يدلُّ على خصوصيّة أحد المعنيين دون الآخر " .[2]

كما أفرد أبو عُبَيْد جزءً من مصنَّفه للظّاهرة عينها مثبتا إيّاها بنصّ أبي زيد الأنصاري: "النّاهل في كلام العرب العطشانُ، والنَّاهِلُ الّذي قد شرب حتّى روي، والأنثى ناهلة "[3]، ويمضي العالم ذاته في تعديد الشّواهد لإثبات التضادّ في اللّغة، من نحو لفظ «الصّريم» الحامل لمعنيين، أحدهما: «الصّبح»، ومنه قول بِشر بن أبي خازم:

فَبَاتَ يَقُولُ: أَصْبِحْ، لَيْلُ، حَتَّى تَجَلَّى، عَنْ صَرِيمَتِهِ الظَّلَام[4]

والآخر: «اللّيل» ومنه قول المولى عزّ وجلّ: ﴿فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾**[القلم:20]**.[5]

أمّا الأصوليّون فجُلّهم اصطفّوا إلى الجمهور من أهل اللّغة المقرّين وجودَ الأضداد.[6]

وموسِّعا كان «الفرابي اللّغوي» مستمدّا وجهته تلك من بعض ما اختلفت فيه لهجات العرب، على غرار مفردة «الشَّعْب» الّتي حمَّلها معنيين متضادَّيْن: «الجمع والتّفريق»، أمّا «ابن السِّكِّيت» فمثّل لرأيه بالقول: «لَمَقْت الشّيء»؛ حيث إنّ لفظ «لمقت» متَضمِّن لمعنيين، ففي لسان عقيل جاء بمعنى «كتبته»، أمّا عند سائر العرب فجاء بمعنى «محوته»، وكلّ من المعنيين ضدّ

(1) أحمد بن فارس، الصّاحبي(في فقه اللّغة العربيّة ومسائلها وسنن العرب في كلامها)، ص99.

(2) جلال الدّين السّيوطي، المزهر(في علوم اللّغة وأنواعها)، ص398.

(3) أبو عبيد القاسم، الغريب المصنّف، تح: محمّد المختار العبيدي، دار مصر، القاهرة، ط2، 1416هـ/ 1996م، ج1، ص622.

(4) ديوان بشر بن أبي خازم الأسدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1415هـ/ 1994م، ص127.

(5) ينظر، أبو عبيد القاسم، الغريب المصنّف، ص622.

(6) أحمد مختار عمر، علم الدّلالة، ص194.

للآخر. ونحا «أبو الطيّب» النّحو ذاته بِرَدِّ كلمة «السّدفة» إلى الباب عينه، فهي تحيل إلى «الظّلمة» في لهجة تميم وإلى «الضّوء» في لهجة قيس، ومبالغا كان كلّ من «أبي حاتم وقطرب» بإيراد لفظ «مأتم» تحت باب المتضادّات؛ كونها تُقال حال الفرح والسّرور، والحزن والنّياحة للنّساء المجتمعات لذلك، وعلى منوال السّابقين سار ابن الأنباري فعَدّ ما وَرَد بمعنى الفاعل والمفعول على وزن «فَعيل» من الأضداد من نحو مفردة «الأمين» الّتي تأتي بمعنى المؤتمِن والمؤتمَن، وزاد العالم ذاته في التّوسيع من مجال الأضداد فوضع «ما» تحت هذا الصّنف؛ لأنّها تأتي على صورتين: نافية وموصولة، ومضى معدّدا للألفاظ الّتي أدرجها في هذا الباب.(1)

والتّضييق ما يَسِم رأي «ابن دريد»، إذ نصّ في جمهرته على أنّ لفظ «الشّعب» خارج عن المتضادّات، فهو لغة قوم من الأقوام ليس إلّا، وقد حَدَّ من وقوع هذه الظّاهرة إلّا شرط مجيء اللّفظ للمعنيين في لسان واحد.(2) كما أيّد صاحب الأمالي التّوجّه عينه فنفى التّضادّ عن مفردة «الصّريم»، ففي رأيه إنّما أُطلقت على «الصّبح» كونُه انصرم عن اللّيل، وعلى «اللّيل» كونه انصرم عن النّهار فحسب. أمّا القائلون عن كلمة «مأتم» ما ذُكر آنفا أنفسُهم أخرجوها من الأضداد بذلك التّوسّع المبالغ فيه فأضحوا مضيّقين.(3)

وكما نوّهْنا آنفا إلى قضيّة إثبات هذه الظّاهرة، فلا ريب في رأي مخالف وهو إنكار وقوعها في اللّغة العربيّة، وممّن أنكرها إنكارا عنيفا وأبطلها تمام الإبطال_على قلّتهم_ نذكر «ابن درستويه» الّذي ألّف في ذلك، موضّحا رأيه في «شرح الفصيح» ردّا على من اعتبروا مصطلح «النَّوْء» من الأضداد بنصّ: "النّوء: الارتفاع بمَشقّة وثِقل، ومنه قيل للكوكب قد نَاءَ إذا طلع، وزعم قوم من اللّغويّين أنّ النَّوْءَ السّقوط أيضا، وأنّه من الأضداد، وقد أوضحنا الحجّة عليهم في ذلك في كتابنا في إبطال الأضداد "(4)، وروى صاحب المخصّص _عن أحد شيوخه_ الأمرَ ذاته

(1) ينظر، المرجع السّابق، ص195_196_197_198.

(2) ينظر، جلال الدّين السّيوطي، المزهر(في علوم اللّغة وأنواعها)، 396.

(3) ينظر، أحمد مختار عمر، علم الدّلالة، ص197.

(4) جلال الدّين السّيوطي، المزهر(في علوم اللّغة وأنواعها)، ص396.

فعُدَّ منكرا: "وقد كان أحد شيوخنا ينكر الأضداد الّتي حكاها أهل اللّغة وأن تكون لفظة واحدة لشيء وضدِّه" .[1]

ويزيد «بقلب»(ت291هـ) بجزئه المؤلَّف في الأضداد برهنة ودعما للتّيار ذاته، مؤكِّدا استحالة حصول الكلام بالأضداد[2].

كما احتكم منكرون كُثر إلى بعض الأدلّة العقليّة من نحو المنصوص عليه في مخطوط «تاج الدّين الأرموي محمّد بن الحسين»(ت653هـ): "إنّ النّقيضين لا يوضع لهما لفظ واحد"[3]؛ كون إفادة التّردّد في المشترك حاصلة بين المعنيين، أمّا في النّقيضين فواقع بالذّات لا من اللّفظ.[4]

التّضادّ عند المحدثين:

يُعدّ التّضادّ أحد العلاقات القائمة بين المعاني، والأكثر تجريدا، فمجرّد ذكر المعنى يستدعي حضور ضدّه في الذّهن.[5]

وحدّه الآتي على لسان أحمد محمّد قدّور: "أن يكون للدّالّ الواحد معنيان متضادّان، لذلك عدّه اللّغويّون نوعا من المشترك بوجه عامّ" .[6] كما عرض للحديث عنه أولمان في باب أسماه «مدلولات عدّة للكلمة الواحدة»، والآتي نصّه: "إنّ قدرة الكلمة الواحدة على التّعبير عن مدلولات متعدّدة إنّما هي خاصّيّة من الخواصّ الأساسيّة للكلام الإنساني"[7]، ويضيف قائلا: "من

(1) أبو الحسن المرسي، المخصّص، ص259.
(2) ينظر، أحمد مختار عمر، علم الدّلالة، ص194.
(3) المرجع نفسه، ص195.
(4) ينظر، المرجع نفسه.
(5) ينظر، فصول في فقه اللّغة، رمضان عبد التّوّاب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط6، 1420هـ/1999م، ص336.
(6) أحمد محمّد قدّور، مبادئ اللّسانيات، ص379.
(7) ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللّغة، تر: كمال بشر، مكتبة الشّباب، د ط، د ت، ص114.

المعروف أنّ المعاني المتضادّة للكلمة الواحدة قد تعيش جنبا إلى جنب لقرون طويلة دون إحداث أيّ إزعاج أو مضايقة " .[1] وهو احدى وسائل التّنوّع في الألفاظ والأساليب.[2]

اصطفّ «لاينز» صفّ المصطلحين لاسم «التّخالفantonymy» على ما عُرِف بالأضداد عند الأوائل، ممثّلا لهذه الظّاهرة باللّفظين «كبيرbig» و «صغيرsmall» القابلين للتّدريج كسمة بارزة للمتخالفات من هذا النّوع، أي المتضادّات، منتزعا خاصية التّدريج من اللّسانيّ «سابير»، ولتحديد الخاصية التّعريفية الأكثر أهميّة للعلاقة(التّخالف)اعتمد لاينز على هيكل شكليّ يتضمّن الجملة المقارِنة المحتواة فيها(أ) و(ب) على التّرتيب[3]: "أ/[ع س1+أ+ز1] [ع س2+أ+ز2] تتضمَّن ومتضمَّنة في نفس الوقت في الجملة المقارِنة الحاوية على «ب» [ع س2+ ب+ز2] [ع س1+ب+ز1] "[4] وللشّكل كتابة بجملتي: "«إنّ بيتنا الآن أكبر ممّا كان عليه بيتكم سابقا» تتضمّن ومتضمَّنة في جملة «إنّ بيتكم كان أصغر من بيتنا الآن» " .[5] وقال عن التّضادّ بين المتخالفات أنّه محايد، وذكر المخالف غير المميّز وهو الّذي نستعمله لما نشعر به، ثمّ جاء على ذكر التّعاكسconverseness وهو لغة التّضادّ الممثِّل للعلاقة الموضعيّة الّتي سرد لها شاهدين هما «يشتري ويبيع»، «زوج وزوجة» والمشير إلى هذه العلاقة في ذلك التّعاكس الجاري بين الفعلين الأوّلين من الجهتين، والواجب التّمييز بين العلاقتين رغم التّوازي القائم بينهما.[6]

وقد عُرفت التّسمية نفسها عند «بالمر»؛ حيث عبّر عنها بالتّضادّ في المعنى لأنّ الكلمات المتضادّة متخالفة، وجلّ ما يعدّ التّخالف للتّرادف مضادّا رغم اختلاف حالتيهما جذريّا: "التّخالف سِمة لغويّة منظّمة وطبيعيّة جدّا، ويمكن تعريفها بدقّة كافية " .[7] وعدّد بالمر للتّضادّ أنواعا متباينة

(1) المرجع السّابق، ص118.

(2) ينظر، صبحي الصّالح، دراسات في فقه اللّغة، دار العلم للملايين، بيروت، ط6، 2004م، ص113.

(3) ينظر، جون لاينز، علم الدّلالة، تر: مجيد الماشطة، حليم فالح، كاظم باقر، دار الآداب، البصرة، د ط، 1980، ص99_101.

(4) المرجع نفسه، ص101.

(5) المرجع نفسه.

(6) ينظر، المرجع نفسه، ص105_106.

(7) أف. آر. بالمر، علم الدّلالة، ص109.

متباينة شرط التّمييز بينها بدقّة شديدة بدءً بأزواج الكلمات الكثيرة في الإنجليزية والعربيّة على نحو: «ضيِّق، واسع»، «شابّ، كبير» بقصد آخر هناك تدريج للعرض والعمر والحجم...إلخ، فالمعيار إذن يحدّده الشّيء المنعوت فالقول: «هناك أناس كثيرون حاضرون» يستدعي معنيين: فإن كان الحديث عن جلسة خاصّة قُصد به خمسة أو ستّة أشخاص، وإن تكلّمنا عن جمهور مباراة في كرة القدم فربّما يصل العدد إلى عشرين ألفا. وفي غير مسألة فحواها: أنّ احدى اللّفظتين من كلّ زوج تكون اللّفظة الموسومة، والمتبقية غير موسومة، والقصد من ذلك أنّ واحدة منها فقط تُسْتَخْدَم للسّؤال عن درجة النّعت المدرَج أو وصفه، وهناك أزواج لا تَحتَمِل خاصية التّبادل بانتظام لحديث «سابير» حيث إنّ ما ينطبق على سابقيها لا يسقط عليها، والقصد علاقة أكثر من، أو أقلّ من، وممّا ينضوي تحت نوع أزواج الكلمات «المتضادّات العلائقية relational opposites»، أو ما أسماه «بالتّضادّ العلائقي» وتظهر بين تلك الأزواج علاقة تبادليّة من نحو: المضارِعين «يشتري، يبيع»، فإذا باع جون إلى فريد فإنّ فريد يشتري من جون.[1]

أمّا أحمد مختار عمر فقد حافظ على تسمية «التضادّ» ونوّه إلى أنّ هناك أنواعا عديدة ترد تحت مسمّى التضاد ترجع في الأصل إلى التّقابل مُستَهَلُّها:

1) **التضاد الحادّ أو غير المتدرّج Nongradabl/Ungradable** : والمتضادّات في هذا النّوع لا تعترف بدرجات الأقلّ والأكثر وبحسْمٍ هي تقسم عالم الكلام على غرار المتزوّج والأعزب، فتلفّظك بعبارة: «إنّ فلان غير متزوّج» هو اعتراف منك وتصريح بأنّه أعزب. وهو نوع أقرب ما يكون إلى النّقيض عند المناطقة إذ إنّه يتماثل مع قولهم بعدم صدق النّقيضين معًا أو عكس ذلك.
2) **التّضادّ المتدرّج gradable:** وحصوله يتحقّق بين نهايتين لمعيار متدرِّج وبين أزواج من المتضادّات الدّاخلية، وبإنكار أحد عضوي التّقابل لا يُنظَر من هذا اعتراف بالعضو الآخر، والاسم ذاته أطلقه المناطقة وهو تضادّ نسبيّ.

(1) ينظر، المرجع السّابق، ص109_110_113.

3) **تضادّ العكس:** والقصد منه ترابطٌ بين أزواج من الكلمات أو كما سمّاه المناطقة التّضايق.

4) **التضادّ الاتّجاهي Directional opposition:** وقد جِيء به من قِبل لاينز على غرار التّضادّات العموديّة.(1)

ساق هادي نهر في «علم الدّلالة التّطبيقي» حديثا عن المتضادّ بصريح الاسم مركّزا على دور السّياق في تحديد هذا الأخير بعد أن نأى عن ذكر حيثيات الخلاف القائم بين الرّافضين لوجود التضادّ والقائلين به(2)، فأمّا قُطرب فكان نصّه في الألفاظ الّتي يحدِّد دلالتها السّياق أوّل ما جاء على ذكر هادي نهر: "رَجلٌ نِجَدٌ: إذا كان سريع الإجابة إلى الدّاعي الّذي دعاه...ويُقال: رَجلٌ نِجَد إذا كان مُفْزِعا من أيِّ وجه" .(3)

ولم يشهد هذا النّوع من العلاقات إحداث ضجّة في لسانيات الغرب واكتفى روّادها بالتّنويه إليه وسمَّوه بمصطلح يجعله فريدًا: antonym مع التّعليل نفسيّا واجتماعيّا لظهوره وهو تفسير لم يحقِّق للتّضادّ جديدا.(4)

"ويُلاحَظ أنّ اهتمام اللّغويّين المحدثين بهذه الظّاهرة _عامّة_ «التّضادّ» كان ضئيلا في حين أنّ اللّغويّين العرب القدامى اهتمّوا بالأضداد اهتماما كبيرا" .(5)

(1) ينظر، أحمد مختار عمر، علم الدّلالة، ص113.

(2) ينظر، هادي نهر، علم الدّلالة التّطبيقي(في التّراث العربي)، دار الأمل، إربد، الأردن، ط1، 1427هـ/2007م، ص403.

(3) المرجع نفسه.

(4) ينظر، غازي مختار طليمات، في علم اللّغة، ص220.

(5) أحمد محمّد قدّور، مبادئ اللّسانيات، ص382.

ظاهرة التّرادف:

وسيتمّ من خلال هذا العنوان بسط للظّاهرة عند اللّغويّين القدماء منهم والمحدثين.

التّرادف عند القدماء:

عرّفه الإمام فخر الدّين الرّازي بقوله: "هو الألفاظ المفردة الدالّة على شيء واحد باعتبار واحد، مبيِّنا علّة قصره على الألفاظ المفردة في لفظ واحد " .[1]

وحدّده سيبويه بنصٍّ الآتي هي كتابته: "واعلم أنّ من كلامهم اختلاف اللّفظين والمعنى واحد، واتّفاق اللّفظين واختلاف المعنيين "[2]، وموضع اهتمامنا هو شطر التّعريف الأوّل «اختلاف اللّفظين والمعنى واحد» على شاكلة الفعلين الماضيين «ذهب وانطلق».

ولقطرب في تعريف التّرادف لفظٌ: "اختلاف اللّفظين والمعنى واحد، وذلك مثل: «عِير وحمار» و«ذئب وسِيد» و«جلس وقعد»...إلخ " .[3]

أمّا أبو البقاء الكفوي فعرّفه بـ : "الاتّحاد في المفهوم، لا الاتّحاد في الذّات كالإنسان والبشر، وحقّ المترادفَيْن صحّة حلول كلّ منهما محلّ الآخر " .[4]

ووراء الاختلاف في نطق الكلمات بين العرب كان بينهم اختلاف كثير في التّعبير عن بعض المُسمَّيات، الأمر الّذي تولَّد عنه كثرة المترادفات في العربيّة على شاكلة: «الذّهب والعسجد» «الغيث والمطر» و«القمح والبُرّ»، وهذا ما عرَض له الجاحظ في البيان والتّبيين فالقمح لغة شاميّة والحِنطة كوفيّة وأهل الحجاز يقولون البُرّ، وذلك ترادف في الأسماء ومثلا منه يكون في الأفعال: «قاتلو، تحاربوا، تعاركوا، تواقعوا، تخاصموا».

---

(1) جلال الدّين السّيوطي، المزهر(في علوم اللّغة وأنواعها)، ص316.

(2) عمرو بن عثمان سيبويه، الكتاب، ج3، ص24.

(3) أحمد اللّبابيدي، معجم أسماء الأشياء(اللّطائف في اللّغة)، تح: أحمد عبد التّوّاب عوض، دار الفضيلة، القاهرة، د ط، د ت، ص12.

(4) أيّوب بن موسى الكفوي، الكليات(معجم في المصطلحات والفروق اللّغويّة)، تح: عدنان درويش، محمّد المصري، مؤسّسة الرّسالة، د ت، ص315.

والإفراط ما يَسِمُ التّرادفَ في العربيّة، ومردّ ذلك إلى اختلاف اللّهجات، واختلاف القبائل فيما وضعته من أسماءٍ وأفعالٍ للتّعبير عن المعاني الحسّيّة والذّهنيّة، والتّرادف له كبير الفضل في الاتّساع الشّديد لمادّة المعجم العربيّ من غير تناسٍ لوفير جُهدٍ بذله اللّغويّون في جمع كلِّ ما دار على ألسنة القوم فقد راحوا يُحصون أسماءَ السّيف ويقولون إنّها خمسون، كما عدّدوا للأسد والبعير أسماءً[1]، "ولعلّنا لا نُبالغ إذا قلنا إنّ لغة من اللّغات لا يمكن أن تُجاري العربيّة في هذا الباب: باب التّرادف، فهو بابٌ واسعٌ فيها، وقد أَعدَّها ليَشيعَ فيها أسلوب من التّكرار الصّوتي والتّرادف الموسيقي عند الجاحظ وأضرابه " .[2]

وقد انقسم علماء العربيّة تجاه التّرادف إلى فريقين:

1) مثبت للتّرادف.
2) منكر للتّرادف.

ويبدو أنّ مثبتي التّرادف كانوا على فريقين:

الفريق الأوّل: وَسَّع مفهومه ولم يَجعل له حُدودًا تقيِّد حدوثه.

الفريق الثّاني: وَضع شروطا تقلِّله وبالتّالي قَيَّد حدوثه.[3]

وذا ذِكر ابن فارس(ت395هـ) في الخلاف: "ويُسمَّى الشّيء الواحد بالأسماء المختلفة...والّذي نقوله في هذا أنّ الاسم واحد...وما بعده من الألقاب صفات...وقد خالف في ذلك قوم فزعموا أنّها وإن اختلفت ألفاظها فإنّها ترجع إلى معنى واحد... "[4]، واتّفق سيبويه مع طرف التّمكين من وِلدان الرّعيل الأوّل وهذا ما ضمّنه في باب «تلاقي المعاني على اختلاف الأصول والمباني» فقال: "هذا فصلٌ من العربيّة حسنٌ كثيرُ المنفعة، قويٌّ الدِّلالة على شرف هذه

(1) ينظر، شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربيّ(العصر الجاهلي)، دار المعارف، القاهرة، ط1، د ت، ص128_129.
(2) المرجع نفسه، ص129.
(3) أحمد اللّبابيدي، معجم أسماء الأشياء(اللّطائف في اللّغة)، ص17.
(4) المرجع نفسه.

اللّغة. وذلك أن تجد للمعنى الواحد أسماء كثيرة، فتبحث عن أصل كلِّ اسم منها فتجده مُفضي المعنى إلى معنى صاحبَه " .[1]

ومن مُثبتي الظّاهرة ذاتها نجد أيضا الرُّمَّاني مؤلِّف كتاب «الألفاظ المترادفة» وقد قسّمه إلى نحوِ أربعين ومائة فصل، خصَّصَ كلَّ فصل لكلمات مُتَّحِدة في المعنى من مثل: «الغِبْطة والفرح».

وعلى منواله سار كُراع صاحب «المُنْتَخِب» ومن الأمثلة الّتي ساقها: «الحنج والبنج» و«الجنث والنجار». وأيضا أقرّه الفيروز آبادي فألّف كتابا بعنوان «الرّوض المسلوف فيما له اسمان إلى ألوف» وآخَر في أسماء العسل[2]، ذاكِرا له أكثر من ثمانين اسما مع ذلك تقرَّر لديه أنّه لم يجمعها كلَّها، وكان ممّن آثروا جمع الكلمات الّتي تدلّ على معنى واحد سمّوه «المُترادف» أو «ما اختلفت ألفاظه واتّفقت معانيه».[3]

وفي الحزب ذاته انخرط عبد الله بن خالَوَيْه الهمذاني، وهذا ما يُبيِّنه حديثٌ نُقِل جَرَت أطرافه بين ابن فارس وأحمد بن محمّد بن بندار: "جمعتُ للأسد خمس مائة اسم وللحيّة مائتين " .[4]

وقد أخبر ابن فارس بمحادثة نقلها له الأوّلون جمعت بين هارون الرّشيد والأصمعي طَرحها تفسير شعر لابن حُزام العُكْليّ جلّاها الأصمعي باليسير فقال له الأمير «هارون الرّشيد»: "يا أصمعي إنّ الغريب عندك لَغيْر غريب فقال: يا أمير المؤمنين، ألا أكون كذلك وقد حفظت للحجر سبعين اسما؟ "[5]، يتّضح من ثناياها مواكبة الأصمعي لركب المثبتين.

ووُجد للسّيوطي منظومة أحصى فيها أسماء الكلب، والكتابة الآتية تقديمه لها: "دخل يوما أبو العلاء المعرّي على الشّريف المرتضي فعثر بِرَجُلٍ، فقال الرّجل: من هذا الكلب؟ فقال أبو

(1) عثمان بن جنّي، الخصائص، ج2، ص115.
(2) ينظر، أحمد مختار عمر، علم الدّلالة، ص217.
(3) ينظر، أحمد اللّبابيدي، معجم أسماء الأشياء(اللّطائف في اللّغة)، ص13.
(4) أحمد بن فارس، الصّاحبي(في فقه اللّغة العربيّة ومسائلها وسنن العرب)، ص47.
(5) المصدر نفسه.

العلاء: الكلب من لا يعرف للكلب سبعين اسما، قلت: وقد تتبَّعتُ كتب اللّغة، فحصّلتُها ونظَمْتُها في أُرجوزة، وسمّيتُها: التبرى من معرّة المعرّى " .[1]

كما روى ابن فارس قصّة من بين كثير القصص والآثار المؤكِّدة لوجود التّرادف في العربيّة قوله فيها: "أنّ رجلا كأبي هريرة لا يعرف كلمة السّكّين (لأنّه من قبيلة أُزد) فقد سقطت من يد النبيّ_ صلّ الله عليه وسلّم _ فقال لأبي هريرة: ها السّكّين(ناولني السّكّين)، فالتفت أبو هريرة يمنة ويسرة، ثمّ قال بعد أن كرّر الرّسول _صلّى الله عليه وسلّم_ القول ثانية وثالثة: آلمُدْيَة تريد؟ فقال: الرّسول_ صلّى الله عليه وسلّم_: نعم " .[2]

وقد أقرّ هذا النّوع من العلاقات الدّلاليّة نفرٌ آخر من علماء العربيّة لكن مع حصر حدوثه بحصول شروط:

وذا الإمام فخر الدّين الرّازي: يحصر التّرادف فيما يتطابق فيه المعنيان من غير تفاوت ولو كان بسيطا ومثَّلُه «السّيف والصّارم» ففي الثّانية زيادة معنى[3] وفي غير منأى من ذلك قال: "ومن النّاس من أنكره وزعم أنّ كُلّ ما يُظَنُّ من المترادفات فهو من المتباينات؛ إمّا لأنّ أحدهما اسم الذّات، والآخر اسم الصّفة...والكلام معهم إمّا في الجواز، ولا شكّ فيه، أو في الوقوع إمّا في لغتين، وهو أيضا معلوم بالضّرورة، أو من لغة واحدة كالحنطة والبُرّ والقمح...وتعسّفات الاشتقاقيين لا يُشهَد لها شُبهة فضلا عن حجّة "[4] هو ردّ الإمام لمن أنكره، وخالَ كلّ ما يُقال من المترادفات هو من المتباينات ولكن مع استحضار الشّروط.

ويأتي أبو الهلال العسكري(ت395هـ) في سطور كتابه «الفروق اللّغوية» مدعِّما صفّ المثبتين المضيِّقين حدوثَ الظّاهرة، فبعد اعترافٍ بها من خلال كتابيه: «التّلخيص في معرفة أسماء الأشياء» و«المعجم في بقيّة الأشياء» عاد ليُضيِّق من دائرة التّرادف التّامّ، إلّا أنّه لم يمنع

(1) ينظر، أحمد اللّبابيدي، معجم أسماء الأشياء(اللّطائف في اللّغة)، ص13.
(2) المرجع نفسه، ص16.
(3) ينظر، المرجع نفسه، ص17.
(4) أحمد مختار عمر، علم الدّلالة، ص217.

التّرادف الجزئيَّ بحال.[1]وذا لفظُهُ في مُعنْوَنِه «الفروق اللّغويّة»: "ممّا امتازت به لغتنا العربيّة من الخصائص: «المترادفات»: وهي بحر زاخر لا يُسْبَرُ غَوره، ولا تُحصى دُرَرُه "[2] مُعدِّدا بعضا من مزاياه من نحو: إثراء اللّغة نتيجة سكبِ المعنى في قوالب متعدِّدة بشكل بلاغيّ فريد. وشواهده الظّاهرة كثيرة تقع في الأسماء والأفعال، والصّفات، والحروف على السّواء.[3]

والمعروف أنّ العرب القدامى لم يُوحِّدوا كلمة الإقرار بوجود التّرادف في اللّغة العربيّة فقد أَلْفَى العلماء فريقا ينكر التّرادف المطلق يُمثِّله نَفَرٌ من العارفين منهم: ابن الأعرابي(ت231هـ) وثعلب(ت291هـ)، وابن درستويه، وأبو هلال العسكري.

وإلى جملة من الأدلّة يستند هؤلاء:

_حتميّة وجود فوارق دلاليّة بين المترادفات.

_عدم جواز دلالة اللّفظ المفرد على معنيين يفرض انتفاء كون اللّفظان يدلّان على معنى واحد.

_جميع ما يَخالُه الكثيرون أنّه من المترادفات هو من المتباينات.

_إنّ إمكانية عطف اللّفظين المترادفين على بعضهما تُبعد إمكانيّة وجود التّرادف، فلا يُعطَف الشّيء على نفسه.[4]

واقتطاعا لرأي مُخالِفيهم يقول أصحاب رأي التّفنيد: "نحن نقول إنّ في قَعَد معنى ليس في جلس...فيكون القعود عن قيام، والجلوس عن حالة هي دون الجلوس لأنّ الجَلْسْ المرتفع، والجلوس ارتفاعٌ عمّا هو دونه. وعلى هذا يجري الباب كلّه " .[5]

وهذا نقلٌ مُسْنَدٌ مضمونه لأحد علماء العربيّة «ثعلب»(ت291هـ) يُستفاد منه إنكاره هذا المبحث الدّلالي «التّرادف» " ليس منها اسمٌ ولا صفةٌ إلّا ومعناه غيرُ معنى الآخر، وكذلك الأفعال

(1) أحمد اللّبابيدي، معجم أسماء الأشياء(اللّطائف في اللّغة)، ص19.

(2) أبو هلال العسكري، الفروق اللّغويّة، تح: محمّد إبراهيم سليم، دار العلم والثّقافة، القاهرة، د ط، د ت، ص17.

(3) ينظر، المصدر نفسه.

(4) ينظر، هادي نهر، علم الدّلالة التّطبيقي(في التّراث العربي)، ص492_493.

(5) أحمد مختار عمر، علم الدّلالة، ص219.

نحو: «مضى، ذهب، وانطلق، وقعد، وجلس، وركض، ونام، وهجع» وهو مذهب شيخنا العبّاس أحمد بن يحيى ثعلب " .[1]

ويُعَدّ أبو عليّ الفارسي من أشهر علماء اللّغة العربيّة القدماء المعارضين وقوع التّرادف فيها وهذا نصّه يُمتِّن ذلك: "كنتُ بمجلس سيف الدّولة بحلب، وبالحَضرةِ جماعةٌ من أهل اللّغة، وفيهم ابن خالويه، فقال ابن خالويه: أحفظ للسّيف خمسين اسما، فتبسَّم أبو عليّ، وقال: ما أحْفَظُ إلّا اسما واحدا، وهو السّيف! قال ابن خالويه: فأين المهنّد والصّارم...وكذا وكذا؟ فقال أبو عليّ: هذه صفات، وكأنّ الشّيخ لا يُفرِّق بين الاسم والصّفة " .[2]

ومن أسمائه كما ذكر ابن خالويه في شرح الدّردريّة: الصّارم، والرِّداء، والخليل، والقضيب، والصّفيحة، والمُفَقَّر، والصّمصامة، والمأثور، والمقضب، والكَهام، والأنيث، والمِعضد، والجُرازُ، واللَّدْنُ، والفُطارُ، وذو الكريهة، والمشرقيُّ، والقُساسِيُّ، والعَضْبُ، والحُسامُ، والمذكّر، والهُذامُ، والهَذومُ، والمُنْصَلُ، والهَذّاذُ، والمَهْذاذُ، والهُذاهِذُ، والمِخصَلُ، والمِهذَم، والقاضِب، والمصَمِّم...إلخ[3]

وقال العلّامة عزّ الدّين بن جماعة: "والحاصل أنّ من جعلها مترادفة نظر إلى اتّحاد دلالتها على الذّات ومن يمنع ينظر إلى اختصاصِ بعضِها بمَزيدِ معنى فهي تشبه المترادفة في الذّات والمتباينة في الصّفات " .[4]وقد استقلّ ابن تيمية القاطرة نفسها: "فإنّ التّرادف في اللّغة قليل، وأمّا في ألفاظ القرآن فإمّا نادر وإمّا معدوم، وقلّ أن يعبَّر عن لفظ واحد بلفظ واحد يؤدّي جميع معناه، بل يكون فيه تقريب لمعناه، وهذا من أسباب إعجاز القرآن " .[5]وبالرّواية اتّضح أنّ ابن الأعرابي(ت231هـ) هو أوّل من سنّ سنّة الإنكار فقد نقل أبو العبّاس ثعلب رأي أستاذه ابن الأعرابي القائل: "كلُّ حرفين أوقعتهما العرب على حرف واحد في كلِّ واحد منهما معنًى ليس في

(1) أحمد اللّبابيدي، معجم أسماء الأشياء(اللّطائف في اللّغة)، ص17.

(2) المرجع نفسه، ص18.

(3) ينظر، جلال الدّين السّيوطي، المزهر(في علوم اللّغة وأنواعها)، ص321.

(4) المصدر نفسه، ص318.

(5) أحمد بن تيمية، مجموع الفتاوى، تح: عبد الرّحمان بن محمّد بن قاسم، وابنه محمّد، مجمع الملك فهد، المدينة المنوّرة، د ط، 1425هـ/2004م، ج13، ص341.

صاحبه، ربّما عرفناه فأَخْبَرْنا به، وربّما غمض علينا فلم نُلزِم العربَ جهله. وقال: الأسماء كلّها لعلّة، خصّت العرب ما خصّت منها، ومن العلل ما نعلمه ومنها ما نجهله " .[1]

وقد نمت مسألة إنكار التّرادف أكثر على يد ابن درستويه الّذي يقول: "مُحالٌ أن يختلف اللّفظان والمعنى واحد، كما يَظنّ كثير من اللّغويّين والنّحويّين، وإنّما سمعوا العرب تتكلّم بذلك على طِباعها، وما في نفوسها من معانيها المختلفة، وعلى ما جرت به عاداتها وتعارفها، ولم يَعرِف السّامعون لذلك العلّة فيه والفروق، فظنّوا أنّها بمعنى واحد، وتأوّلوا على العرب هذا التّأويل من ذات أنفسهم فإن كانوا قد صدقوا في رواية ذلك عن العرب فقد أخطأوا عليهم في تأويلهم مالا يجوز في الحكمة... " .[2]

التّرادف عند المحدثين:

ساق الدّكتور رمضان عبد التّوّاب حدّا للتّرادف، جاء فيه: "المترادفات: هي ألفاظ متّحدة المعنى، وقابلة للتّبادل فيما بينها في أيِّ سياق "[3]، إذ ينضوي تحت هذا التّعريف شرطان: فحصول التّرادف لا يكون إلّا باتّحاد المعاني، ومدى قابليّة الألفاظ لخاصيّة التّبادل في سياقات متعدّدة. وذهب بالمر إلى الإقرار بالشّرط الأخير من خلال نصّه: "من المفيد أن تكون لنا طريقة لاختبار التّرادف، وقد نلجأ إلى الإبدال _إبدال كلمة بأخرى_ فقد اقترح البعض أنّ المرادفات الحقيقيّة أو الكليّة قابلة للإبدال بعضها ببعض في جميع مواضعها " .[4] أمّا محمّد نور الدّين المنجِّد فقد وضع هو الآخَر حدّا للتّرادف، وذلك بعد طول بسط لعديد اصطلاحات حوله، جاء في نصّه: "التّرادف عندنا أن يدلّ لفظان مفردان فأكثر دلالة حقيقيّة، أصيلة، مستقلّة، على معنى واحد، باعتبار واحد، وفي بيئة لغويّة واحدة " .[5]

---

(1) محمد المنجّد، التّرادف في القرآن الكريم(بين النّظريّة والتّطبيق)، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ط1، 1417هـ/1997م، ص38.

(2) المرجع نفسه، ص44.

(3) رمضان عبد التّوّاب، فصول في فقه اللّغة، ص309.

(4) أف. آر. بالمر، علم الدّلالة، ص106.

(5) محمّد المنجّد، التّرادف في القرآن الكريم(بين النّظريّة والتّطبيق)، ص35.

وذهب أحمد مختار عمر إلى تمييز عدد غير قليل من المحدثين بين تعدّد التّرادف وأشباهه في اللّغة، وهي على النّحو الآتي:

1) التّرادف الكامل (complete synonymy): ويُصطلح عليه بالتّماثل أيضا (sameness)، إذ يتحقّق هذا النّوع حين تمام المطابقة بين اللّفظين، فيصير من غير الممكن تمييز أحدهما عن الآخر. وتتباين تعريفاته بحسب المنهج المتّبع في تحديد مفهوم دقيق للمعنى وأنواعه، ونذكر منها على سبيل المثال[1]: "التّرادف تضمُّن من جانبين(أ) و(ب) يكونان مترادفين إذا كان(أ) يتضمّن(ب)، و(ب) يتضمّن(أ) ".[2]

2) شبه التّرادف(quasi synonymy): تعدّدت مسمّياته ما بين التّشابه والتّقارب والتداخل، والقصد منه تقارب اللّفظان حتّى يصير من العسر التّفريق بينهما لغير أهل التّخصّص، وممّا عُدّ من هذا النّوع الكلمات «عام، سنة، حول،... »

3) التّقارب الدّلالي(semantic relation): وحصوله واقع بتقارب المعاني، مع اختلاف الألفاظ عن بعضها ولو بملمح واحد، ومثاله بعض الكلمات في الإنجليزيّة الّتي تنضوي تحت حقل دلاليٍّ معيّن: walk، run، hop، skip، crawl ...فكلّها تتقارب في كونها تحمل معنى الحركة.

4) الاستلزام(entailement): ويحصل هذا النّوع وفق قضيّة[3] "التّرتّب على...ويمكن تعريفه بالآتي: س1 يستلزم س2 إذا كان في كلّ المواقف الممكنة الّتي يصدق فيها س1 يصدق كذلك س2 "[4]، فقيام محمّد من فراشه السّاعة العاشرة يستلزم أنّه كان في فراشه قبل العاشرة مباشرة.

5) استخدام التّعبير المماثل: ويُعرَف أيضا بـ «الجمل المترادفة paraphrase» وهو امتلاك جملتان للمعنى نفسه في اللّغة الواحدة، فقد ميّز Nilsen فيه أقساما، منها:

(1) ينظر، أحمد مختار عمر، علم الدّلالة، ص220.

(2) المرجع نفسه، ص224.

(3) ينظر، المرجع نفسه، ص221.

(4) المرجع نفسه.

_التّحويلي: وهو حاصل بتحوّل الكلمة عن موقعها الرّئيس في الجملة بغرض بروزها من بين الكلمات، على نحو: دخل محمّد الحجرة ببطء.

ببطء دخل محمّد الحجرة.

الحجرة دخلها محمّد ببطء.

_التّبديلي أو العكس: ويمثّل له بجملتي:

اشتريت من محمّد آلة كاتبة بمبلغ 100 دينار.

باع محمّد لي آلة كاتبة بمبلغ 100 دينار، فهما تحملان الحدث ذاتَه.

_الاندماج المعجمي: كالتّعبير عن كلمة تجمُّع to touch with the hips بكلمة واحدة هي to kiss.

_التّرجمة translation: كترجمة نصّ علميّ إلى لغة شائعة، أو ترجمة نصّ شعري إلى نصّ نثري.

_التّفسير interpretation: وذلك باعتبار(س) تفسيرا لـ(ص) شرط أن تكون(س) ترجمة لـ(ص)، فكلّ تفسير ترجمة، وليس العكس.[1]

وقد عرف اللّغويّون المحدثون كذلك انقساما حول الظّاهرة عينها، أو بالأحرى حول وقوع ترادف تامّ بين المفردات، فحصل الإثبات والإنكار، وبين المثبتين وقع الخلاف، فكانوا على فريقين:

_ فريق موسّع لمساحته دون حدود أو قيود.

_ وثان مضيِّق لها بسَنِّ بعض الشّروط والقيود.

ومِن المقرّين مطلقا _وهم جماعة من المؤلِّفين في الظّاهرة_ مصطفى صادق الرّافعي، وإبراهيم اليازجي الّذي ألّف في التّرادف معنونه «نجعة الرّائد وشِرْعة الوارد في المترادف والمتوارد»، والأب رفائيل نخلة اليسوعي في «قاموس المترادفات والمتجانسات»[2]، و«معجم

(1) ينظر، المرجع السّابق، ص221_222_223.

(2) ينظر، هادي نهر، علم الدّلالة التّطبيقي(في التّراث العربي)، ص502_503.

المعاني للمترادف والمتوارد والنّقيض» لنجيب اسكندر، والمستشرق دوهامر De hammer الّذي قام بجمع المفردات العربيّة المتعلّقة بالجَمل وشؤونه، إذ بلغت أكثر من أربع وأربعين وستّمائة وخمسة آلاف كلمة[1]، فهؤلاء أثبتوا وقوع التّرادف من غير تردّد أو ريب، كما اعتبر نفر أنّ العربيّة زاخرة بالمترادفات من بين لغات العالم.[2]

ومضيِّقا كان توفيق محمّد شاهين، ونصُّه الآتي يبيّن ذلك: "كثير من علماء فقه اللّغة اليوم يُؤيِّدون وجود التّرادف، شريطة الاعتدال وعدم المبالغة في وجوده، ومعهم الحقّ "[3]، كما تطرّق إلى ولع العرب القدامى وشغفهم بالمترادفات، فما كان منهم إلّا أن هوّلوا من الأمر وتكلّفوا فيه أيّما تكلُّف، وطغت عليهم نزعة الغلوّ تلك، والأمر الفصل عنده هو الدّقّة والاعتدال.[4] ليأتي إبراهيم أنيس ومن سلك مسلكه، مشيراً إلى إجماع المحدثين من علماء اللّغة على إمكانيّة مجيء التّرادف في كلّ لغات العالم، وذلك وِفقا لشروط سنأتي على ذكرها:

_الاتّفاق التّامّ في المعنى بين الكلمتين.

_الاتّحاد في البيئة اللّغويّة.

_الاتّحاد في العصر: إذ اشترط المحدثون النّظر إلى الكلمات في زمن محدّد.

_ألّا ينتج أحد اللّفظين من تطوّر صوتي للّفظ الآخر: من نحو دلالة لفظتي: «الجثل والجفْل» على النّمل، فقد عُدَّتا كلمة واحدة اختلفت في أصواتها باختلاف القبائل ما بين بدو وحضر.

وساق الباحث ذاتُه بعض آي القرآن الكريم الّتي ألفاها توحي بورود التّرادف كظاهرة بين مفرداته، من نحو: «آثر وفضّل» في الآيتين:﴿تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾**[يوسف:91]** و﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾**[البقرة:47]**، وبين «مثوى ومأوى» في الآيتين: ﴿وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ﴾**[آل عمران:151]** و﴿فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى﴾**[النّازعات:39].**[5]

(1) ينظر، حاكم مالك لعيبي، التّرادف في اللّغة، دار الحرّيّة، بغداد، د ط، 1400هـ/1980م، ص279.

(2) ينظر، محمّد المنجِّد، التّرادف في القرآن الكريم(بين النّظرية والتّطبيق)، ص71.

(3) توفيق محمّد شاهين، المشترك اللّغوي(نظريّة وتطبيقا)، ص228.

(4) المرجع نفسه، ص233.

(5) ينظر، إبراهيم أنيس، في اللّهجات العربيّة، ص154_155_156.

وممّن تبنّى الموقف عينه صبحي الصّالح، إذ جاء في نصّه: "ولسنا نريد بهذا أن ننكر مع أحمد بن فارس وقوع التّرادف، بل نؤثر أن نعتدل في رأينا، فلا ضير علينا إذن أن نأخذ بمذهب من يقول في شأن التّرادف: «وينبغي أن يحمل كلام من منعه على منعه في لغة واحدة، فأمّا في لغتين فلا ينكره عاقل» "[1]، كما تقرّر لديه ورود التّرادف في القرآن الكريم، من نحو الفعلين «بعث وأرسل» في الآيتين:﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾**[الإسراء:15]** و﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾**[الأنبياء:107].**[2]

إنّ نزعة الغلوّ والتّضخيم في الإقرار بالمترادفات دفعت بالكثير من اللّغويّين المحدثين إلى إنكار الظّاهرة(التّرادف) والسّير في رأي مخالف، ملتمسين دقائق الفروق بين الكلمات الّتي خِيلَت مترادفة، فخرجوا باستحالة وقوع ترادف حقيقيّ بين المفردات.[3]

ومن هؤلاء، وجُلُّهم غربيّين، نذكر «بلومفيلد»، حيث اعتقد أنّ اختلاف المباني يؤدّي بالضّرورة إلى اختلاف المعاني، "ولذا فهو ينفي أن يكون هناك ترادف حقيقي " .[4]

واصطفّ بالمر إلى سابقه مقرًّا غيابَ المترادفات الحقيقية في الواقع فـ "من غير المحتمل أن تبقى في أيّة لغة كلمتان لهما معنى واحد تماما، فإذا نظرنا إلى بعض المرادفات، فهناك على الأقلّ خمسة اختلافات بينها "[5]، ويورد أحمد مختار عمر آراء بعض اللغويّين الغربيّين حول نوع الترادف الكامل على غرار Fh.george القائل: "إذا كانت كلمتان مترادفتين من جميع النّواحي ما كان هناك سبب في وجود الكلمتين معا " .[6] أمّا Lehrer فينفي هو الآخر حصول ترادف تام تام بين الكلمتين معلِّلا بوجود مفردات متشابهة إلى حدّ كبير في المعنى، ويحدث بينها تبادل

(1) صبحي الصّالح، دراسات في فقه اللّغة، ص299.

(2) ينظر، المرجع نفسه، ص300.

(3) ينظر، توفيق محمّد شاهين، المشترك اللّغوي(نظريّة وتطبيقا)، ص233.

(4) محمّد محمّد يونس علي، المعنى وظلال المعنى(أنظمة الدّلالة في العربيّة)، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 2007، ص399.

(5) آف. آر. بالمر، علم الدّلالة، ص104.

(6) أحمد مختار عمر، علم الدّلالة، ص225.

بصورة جزئيّة. ليضيف الباحث ذاته على لسان Goodman استحالة وقوع لفظ مكان لفظ آخر من غير تغيير في المعنى الحقيقي. ويؤكّد Stork على أنّ الكلمات تتباين تأثيراتها العاطفيّة والإشاريّة، وهذا يَحدّ من تحقّق ترادف تامّ بينها.[1]

ويَخلُص أحمد مختار عمر إلى غياب التّرادف في حال أُريدَ به "التّطابق التّامّ الّذي يسمح بالتّبادل بين اللّفظين في جميع السّياقات، دون أن يوجد فرق بين اللّفظين في جميع أشكال المعنى(الأساسي والإضافي والأسلوبي والنّفسي والإيحائي)، ونظرنا إلى اللّفظين في داخل اللّغة الواحدة، وفي مستوًى لُغويٍّ واحد، وخلال فترة زمنيّة واحدة، وبين أبناء الجماعة اللغويّة الواحدة" .[2]

هذا ويذهب كُلٌّ من جرمان ولوبلون إلى أنّه من النّادر جدّا العثور على كلمتين مترادفتين بالتّمام وذلك حتى لو اعتمدنا خاصية التّبادل بين المفردات في سياقات مختلفة، وحتى لو تمّت مراعاة الارتباط اللّهجيّ والظّروف والملابسات المحيطة؛ فالتّرادف التّام حسبهما منافٍ لقواعد الاقتصاد اللغويّ وما هو إلاّ تَرَفٌ لغويٌّ فحسب.[3]

فمُعظم باحثي الغرب أنكروا حدوث ترادف مُطلَق بين المفردات، وقَصَروا حصوله على ما يُعرَف بشبه التّرادف، أو التّرادف الجزئي، أو التّقارب الدّلالي، أو التّداخل المعنوي، وهلمَّ جرًّا من المصطلحات المشابِهة[4]، مُرْجعين العِلّة في ذلك إلى المعاني الإضافية والجوانب العاطفيّة والأسلوبيّة وما تحمله الكلمة مِن إيحاءات.[5]

(1) ينظر، المرجع السّابق.

(2) المرجع نفسه، ص227_228.

(3) ينظر، كلود جرمان، ريمون لوبلون، علم الدّلالة، ص64.

(4) ينظر، محمّد المنجِّد، التّرادف في القرآن الكريم(بين النّظريّة والتّطبيق)، ص77.

(5) ينظر، حاكم مالك لعيبي، التّرادف في اللّغة، ص270.

التضمّن إحالة الأُوّل واحتضان الأُخَر:

وينضوي تحت هذا المبحث مطلبان هما: «أساسات وقف عليها منكرو التّرادف وعلاقة التّضمّن»، ومن بين ما تمّت الإشارة إليه: تفطّن الأوائل لظاهرة التضمّن وإن لم يصرّحوا بها اسما كما فعل المحدثون.

أساسات وقف عليها منكرو التّرادف:

تتمايز المواقف وتتنوّع الأحداث، وتبعاً لهما تتباين المدلولات فتفرض تغيُّرَ الدّوالِّ حسبها، فلا ريب من تفاوتِ المعاني، ولولا الألفاظ ما أمكن تحريرها من عالم المُجرّدات وقرارها في عالم الحِسِّيات، فتُجوَّز اللّفظة في تركيبٍ ما مُمَرِّرةً معنًى رسخ في الذِّهن وصرخ في الواقع غير فاسحة المجال لغيرِه، وهو التّذوّق الجماليُّ معيار الفروق اللّغويّة يجيب عن سرِّ التّعبير بكلمة دون أخرى، وهو ممكِّنُ الحُسْن للّفظة دون الثّانية، ومُميِّز الأصلح منهما دقّةً وأفضليّة[1]، وكلُّ هذا اللّفظ بِساطُه في الآتي خطّه حيث إنّ المنكرين للتّرادف القديم منهم والمُحدَث إنّما جحده استناداً إلى تلك الفروق اللّغويّة.

ومِمّا ظهر من علل إنكارِ التّرادف عند الأقدمين ظاهرة الفروق اللّغويّة: الّتي سبّبت نزاعاً بين اللّغويين نشب حول دلالة الألفاظ، من نحو «قعد، وجلس» الدّالّين الّذين أثارا جدلاً واسعاً حول مدلوليهما، فأمّا الرّاغب الأصفهاني فقد أكّد الفرق بينهما[2]: "أصل الجلْس الغليظُ من الأرض وسُمِّي النّجْدُ جَلْسًا لذلك...وجلس أصله أن يقعد بمقعده جلساً من الأرض ثمّ جعل الجلوس لكلّ قعود والمجلس لكلِّ موضِع يقعد فيه الإنسان ".[3]

وما توكيده البون بينهما إلّا إشارة إلى إنكار ظاهرة أولى هي التّرادف وعُدولٌ عنها إلى أخرى يكون فيها أحد اللّفظين أصلاً، والثّاني فرعاً أو ربّما تكون الوِحدتان مُتَضمّنتينِ في ضامنةٍ أعمَّ منهما.

(1) ينظر، أبو هلال العسكري، الفروق اللّغويّة، ص5.

(2) ينظر، حاكم مالك لعيبي، التّرادف في اللّغة، ص233.

(3) المرجع نفسه.

والاختيار نفسه وقّعه الحريري (ت516هـ) مُفصحاً الفرق بين الكلمتين عينهما مُعوّلاً على ما عُلِم عن الخليل بن أحمد في أن يُقال للقائم اقعد وللنّائم والسّاجد اجلس[1]؛ أي إنّه رمى نفيَ التّرادف إلى غيره على مِنوال باحثين كُثُر، وترجع علّة سلْك هذا المذهب حسب الرّاغب إلى توسّع الدّلالة وتعميمها من قِبل النّاطقين فجرى استعمالهما مُترادِفيْن. وفي غير الكلمتين جرى الإشكال وعلت الضّجة أيضاً؛ حيث إنّ مصطلحي «المائدة، والخوان» شهدا مبلغاً من النِّقاش، وعلّةُ تمكين الفرق بينهما كانت الاشتقاق التّابع لعلّة التّسمية، وهذا ما ذهب إليه أغلب اللّغويين القدماء وبدا لهم أنّ الأصل هو التّفريق بينهما ارتكازاً إلى دلالة الاشتقاق كما سبق ذكره.[2]

والآتي قول صاحب اللّسان في تبيان الفرق بين المادّتين: "مادَ الشّيء يميد: زاغ وزكا، ومدته وأمدته: أعطيته...والمائدة: الطّعام نفسه وإن لم يكن هناك خوان، وقيل هي نفس الخِوان؛ قال الفارسيّ: لا تُسمّى مائدة حتّى يكون عليها طعام وإلّا فهي خِوان... ".[3] وهو ما يُنِمُّ عن رفضٍ للظّاهرة عَلَّمه الأوّلون بيد أنّهم اكتفوا بمحضِ الإشارة والتّنبيه، وفي الوقت ذاته أفادت تلك النّوايا تلميحاً إلى علاقة التّضمّن الدّلاليّة.

أمّا العسكري فقد أفرد مصنّفاً للإبانة عن الفروق بين الكلمات وكان أن عنونه بـ «الفروق اللّغويّة»، وأظهر براعةً في التّصنّع مع تلطّف في التّكلّف في اصطيادها، وقد ذكر في باب «الإبانة عن كون اختلاف العبارات والأسماء مُوجباً لاختلاف المعاني في كلِّ لغة، والقول في الدّلالة على الفروق بينها» ذكر أنّ المساحة الدّلاليّة الّتي يكتسحها اسمان إنّما تكون منطقة واحد منهما رحبة عن الأخرى فإنّ كليهما يقتضي خلاف مُقتضى الآخر سائقًا الشّاهد من كلام «المبرِّد» الّذي جرى معه الشِّرعة ذاتها، قال تعالى:﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾

(1) ينظر، المرجع السّابق.

(2) ينظر، المرجع نفسه، ص234_235.

(3) المرجع نفسه، ص235.

[المائدة :48] [1] "فعطف منهاجاً على شِرعة لأنّ الشِّرعة لأوّل الشّيء، والمنهاج لمعظمه ومتّسعِه " [2]، وهو موضع من كتاب الحقِّ يُحيل من خلاله العالِمان إلى علاقةٍ خارِجةٍ عن التّرادف إلى أخرى ولربّما قصدا نوع التّضمّن، وهذا ما يكاد يُفصحه المبرِّد تالياً: "وإن كانا يرجعان إلى شيءٍ واحد إذا كان في أحدهما خلاف الآخر، فأمّا إذا أُرِيدَ بالثّاني ما أُرِيدَ بالأوّل فعُطِفَ أحدهما على الآخر خطأ؛ لا تقول: جاءني زيد، وأبو عبد الله، إذا كان زيد هو: أبو عبد الله " .[3]

ومن الألفاظ الّتي استلهم العسكري فروقاً بينها هي: «الحسن، والوضاءة» باعتبار تجلِّي الأخيرة في الصّورة فقط، لأنّها معنى النّظافة من قبيل: غلام وضِئ إذا كان بالنّظافة والحسن متّسماً، ومن المُنطَلَق ذاته جاءت تسمية الوضوء لكونه نظافة، وحين يكون المرء حسناً من غيرِ نظافة يمكن نعته بالوضئ وإن انتفت النّظافة؛ لأنّ الحُسن يتجلّى في وجهين: «الحسن في

التّدبير، والحسن في المنظر» فيُقال صورة حسنة كما يصحُّ لفظ أحدِهم: صوتٌ حسن[4]، وكأنّها إشارة من أحد أعلام القرن الرّابع هجري إلى مُصطلحاتٍ اكتنفتها ظاهرة التّضمّن هي: «اللّفظة العُليا، والألفاظ المُشتَمَلة» وهو الواقع بين اللّفظتين السّابقتين: «الحسن، والوضاءة» فأمّا الأخيرة فقد اشتملت الحُسن وخصّت له حيِّزاً من مساحتها على غرار تخصيصها خانات لألفاظ أخرى تنتمي للحقل.

"والجدير بالذّكر أن يبحث ابن فارس بكلِّ يسرٍ وسماحٍ : دلالة تسمية الشّيء الواحد بالأسماء المختلفة كالسّيف والمهنّد والحُسام وما بعده من الألقاب ويُقرِّر مذهبه: أنّ كلّ صفة من هذه الصِّفات فمعناها غير معنى الأخرى وكذلك الحال بالنِّسبة للأفعال فيما يُتوهَّم من دلالتها على مدلول واحد ومُختلِفٌ عنده نحو: مضى، وذهب... " .[5]

---

(1) ينظر، أبو هلال العسكري، الفروق اللّغويّة، ص22.

(2) المصدر نفسه.

(3) المصدر نفسه.

(4) المصدر نفسه، ص261.

(5) محمد حسين علي الصّغير، تطوّر البحث الدّلالي(دراسة تطبيقيّة في القرآن الكريم)، دار المؤرِّخ العربي، بيروت، لبنان، د ط، د ت، ص31.

وهذه كلمة لابن فارس تنمّ عن دقّة ملاحظة وحدّة نظر وهو الّذي يُستنبَط من تتبّعه لدلالة تسمية الشّيء الواحد بالأسماء المختلفة فقد أماط المترادفات ناظراً الحُسن في تربّع الصّفات زاويتها، والقصد: أنّ ابن فارس _ وهو الطّرف المُنكِر للظّاهرة فيما رُوِيَ عنه وابن خالويه_ يرى في تسمية الشّيء الواحد عنتاً، فهي حسبه «صفات» فلا مجال لتكافؤٍ في المعنى تامّ بينها وجائزٌ الإسقاط بالمِثل على الأفعال فليس في عودتها على مدلول واحد صحّة والمدلولات عنده متعدِّدة ومتفاوتة، "ونستطيع أن نُعلِّل رأي ابن فارس بثلاث عِلل هي: تمرّس ابن فارس بالاشتقاق، وإيمانه بالتّوقيف، وإغلاقه الأبواب على اللّغة ".[1]فقد أكسبه تمرّسه بالاشتقاق مرانة فائقة للتّمييز بين معاني الكلمات فلا يقنع بذكر المرادف كتفسير، وإنّما يحلِّل الكلمة ويعتصر جذورها بعد ردِّها إلى معنًى يتضمّن مزايا الأصل الثّلاثي لامتلاكه ذهناً مُتوهِّجاً في ميدان الاشتقاق يفوق إنارته في جميع ميادين اللّغة، أمّا إيمانه بالتّوقيف فقصده أنّ اللّغة إلاهيّةُ المنشأ، وأنّ كلّ لفظ يملك دلالة مُحدّدة، فإن أهملت وسُمِح لغيرِها من المعاني بمخالطتِها آض الكلِم العربيُّ متشابهاً، وتعذّر على النّاطقين التّمييز بين لفظه، وهذا الإغفال يُفلت على القائل والمقول له أبعاضاً من المعاني يُفترض الإحاطة بها على سبيل: «المثوى، والبيت» فالأوّل مكان الثّواء والإقامة، والبيت مَجمع الشّمل وفيه تبيت الأسرة.[2]

وعن شيخ الإسلام أحمد بن تيمية قوله: "ومن الأقوال الموجودة عنهم ويجعلها بعض النّاس اختلافاً أن يعبِّروا عن المعاني بألفاظ متقاربة لا مترادفة ".[3] ممّا يُستقى منه دحضٌ للتّرادف وركن البرهنة إلى زاوية تقارب الألفاظ أي: بين الكلمات جزيل التّقارب ما يجعل من المتكلِّم والمستمع يلزمها خانة التّرادف وهو ما لم يرغب فيه شيخ الإسلام، ودحضه إلى بالغ الاحتكاك.

(1) غازي مختار طليمات، نظرات في علم دلالة الألفاظ (عند أحمد بن فارس اللّغوي، كليّة الدّراسات الإسلاميّة والعربيّة، دبي، 1410هـ/1990م، ص53.

(2) ينظر، المرجع نفسه.

(3) أحمد بن تيمية، مجموع الفتاوى، تح: عبد الرحمان بن محمد بن قاسم، وابنه محمد، مجمع الملك فهد، المدينة المنورة :1425هـ/2004م، ج13، ص431.

وإلى علّتي التّسمية، والفروق في أصل الوضع ذهب ابن الأعرابي[1] مُتّخذاً الزّاوية نفسها الّتي أرجع لها العسكري، وابن فارس إنكارهما لعلاقة التّرادف مع بعض زيادةٍ لدى الأخير.

أمّا ابن درستويه فقد زاد فوق ذلك حكمة الواضع، والمُحاكمة العقليّة المنطقيّة للمسألة إضافةً إلى تعليل التّرادف، وكان استناده في نصّ ذلك إلى أنّ اللّغة توقيف، وأنّ الواضع حكيم عليم وبرهانه قول المولى جلّ ثناؤه: ﴿ وَعَلَّمَ آَدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾**[البقرة :31]** فإنّ إدراك الشّيء بالإشارة إليه مرّةً واحدة تجعل من الإشارة إليه ثانية وثالثةً هدراً لكلّ نفيس من غير مرجوٍّ إفادة، وإلى هذا ذهب أبو هلال العسكري مُعالجاً نُزوعه في إنكار التّرادف.[2]

وأسرف البعض في إرجاع كلّ كلمة من كلمات اللّغة إلى أصلٍ اشتُقّت منه، حتّى الأسماء الجامدة والغريبة عن اللّسان العربي كرِواية تدلّل لهم الأحقيّة في إنكار التّرادف على غرار ابن فارس وابن دريد وهذا مُستشفٌّ من كتابيهما: «مقاييس اللّغة، والاشتقاق» بالرِّدف، ومنهم من ركن إلى زاوية دقائق المعاني وظلالها مُسْتَشِفّاً أموراً سحريّة سابحاً في عالم الخيال ناظراً معانٍ لا يُستطاع الوقوف عليها أو رصدها.[3]

وإذن فإنّ المنكرين للتّرادف من القدماء قد أقاموا موقفهم على أساساتٍ عديدة، وعزوا جحدهم الظّاهرة لعديد الزّوايا الّتي تُلمّح من بعيد وتُشير لتأسيس حركة مُغايرة ينفي رُوّادها التّرادف ويُعلنون بالمقامات الآتي ضبطها ميلاد علاقة التّضمّن: رصد الفروق بين الألفاظ، التّمييز بين أسماء الأشياء وصفاتها، القول بعلل التّسمية، صعوبة الكشف عن علل التّسمية، وتباين لغات العرب، ومنطق العقل، والمجاز حين يستمدّ المثبتون حججهم من الواقع اللّغوي، وحكمة الوضع، وردّ المرويّ من المُترادفات إلى الفهم غير السّليم عن العرب[4].

(1) محمد نور الدّين المُنجّد، التّرادف في القرآن الكريم (بين النّظريّة والتطبيق)، ص45.

(2) المرجع نفسه، ص45.

(3) ينظر، إبراهيم أنيس، في اللّهجات العربيّة، ص156_157.

(4) ينظر، محمّد نور الدّين المنجّد، التّرادف في القرآن الكريم (بين النّظريّة والتّطبيق)، ص127.

وقد سلك المحدثون من المنكرين للتّرادف المسلكَ عينَه الّذي خطاه القدماء أوّلا، حيث إنّهم جاؤوا على عديد المبرّرات الّتي تحقّق لهم الحُجّة في الرّفض، وأولى الزّوايا الّتي أرجعوا لها الدّحض هي انتفاء الإفادة من هذه الظّاهرة[1]، "فلا مبرّر يدعو إلى وجود كلمات متعدّدة متطابقة الدّلالة تمام التّطابق "[2]وبهذا قال هادي نهر: "هناك فرق في استعمالنا كلمات «مات أو فَنَى أو هلك» إخبارا عن أحدهم "[3] جاعلا لتلك الألفاظ حدودا تكاد تحيدها عن إطار التّرادف، فأمّا حدود المعنى مفهوما وأنواعا فقد كانت مستهلّ هذه الحدود، ومفادها أن لاوجود لتطابق تامّ بين جميع تلك الوحدات اللّغويّة كما هو الحال في جمع الأسماء هذه: «البيت، الدّار، المسكن، المنزل، المأوى، الملجأ»، كما هو عليه في الأفعال: «رأى، أبصر، نظر، شاهد» وهذا ما يُنظَر في القرآن الكريم[4] من نحو قول المولى عزّ وجلّ: "﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ﴾**[النّور:27]** بمعنى الدّار والمنازل، ﴿ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا﴾**[نوح:28]** بمعنى سفينة نوح، ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾**[آل عمران:96]** بمعنى الكعبة " .[5] كما أرجع النّفي لغير الزّاوية الآنفة الذّكر(الفروق)، وهي الحالات الّتي يتعذّر فيها إبدال اللّفظة بأخرى في سياق واحد، أي إنّ اللّفظة لها سياق وحيد يلزمها الجريان فيه.[6]

وإلى الزّاوية نفسها ركن أحمد مختار عمر معلّلا رأيه في الإنكار، فوضع جبريّة إمكانية التّبادل بين اللّفظين في جميع السّياقات مع زوال وجود الفرق بين تلك الألفاظ في جميع أشكال المعنى وذانٍ كلمتا «حامل، وحبلى» دليله، فالأولى تحوي رقيّا وأدبا والأخرى مبتذَلة، مدعِّما رأيه برأي collinson في الفروق.[7]وتقرّر الرّأي عينه لدى بنت الشّاطئ في مؤلَّفها «كتاب العربيّة الأكبر»، حين جعلت من إنكار التّرادف مزيّة من مزايا العربيّة، كونه قاصر عن إيضاح الدّلالات

(1) ينظر، هادي نهر، علم الدّلالة التّطبيقي(في التّراث العربي)، ص502.

(2) المرجع نفسه.

(3) المرجع نفسه، ص503.

(4) ينظر، المرجع نفسه، ص504.

(5) المرجع نفسه.

(6) ينظر، المرجع نفسه، 507.

(7) ينظر، أحمد مختار عمر ، علم الدّلالة، ص227_22.

والمفاهيم وهو فقدان حسّ لغوي وليس من الفنّ الأدبي في شيء، ومفردات القرآن خير أنيس في ذلك، على نحو «حلف وأقسم»، فالأولى تأتي دائما في موضع الحنث باليمين.

وإلى زاوية الاختلاف القائم بين القبائل المنقول عنها يُرجِع حفني ناصف حقيقة أن لا ترادف[1]، فـ "قبائل العرب ليست بحاجة إلى أزيد من لفظ لكلّ معنى" .[2] وإلى آثار عديدة عزا الخفاجي دَحضه ظاهرةَ التّرادف، فالتّضخّمات الحاصلة في اللّغة تُصعِّب مهمّة نقل المعاني إلى اللّغات؛ أي صعوبة التّرجمة وما تلك الألفاظ والمفردات إلّا تضخّم نقدي يَعْرِض للّغة فيعيقها عن أداء مهامّها.[3]

كما علّل جلّ الباحثين الأجانب رأيهم _ في إنكار التّرادف المطلق واصطلاحهم على أشباه التّرادف_ بنظراتهم المتباينة لفكرة المعنى اللّغوي تبعا لمناهجهم ونظرياتهم الّتي انطلقوا منها.

وعلى غرار بلومفيلد نهج باحثون كثر النّهج ذاته في جحد فكرة وقوع ترادف حقيقيّ بين المفردات، مذهبهم في ذلك أنّ كلّ تغيّر في المبنى يؤدّي بالضّرورة إلى تغيّر في المعنى، وحفاظ اللّفظة على دلالتها في سياقات مختلفة أمر محال.[4] وإلى علّة تمييز أنواع من المترادفات والتباس والتباس حدودها أرجع لاينز جحده لنوع التّرادف الحقيقيّ.

وعليه فإنّ المنكرين للتّرادف من المحدثين قد بنوا وِجهتهم تلك وفق أساسات عدّة، وعزوا جحدهم الظّاهرةَ لعديد الزّوايا، وهي أمارة على بزوغ نجم أساس آخر، كان منطلقه:

_ الفروق الدّلاليّة بين المفردات، وانتفاء تطابق تامّ بينها.

_ دحض فكرة التّبادل بين الألفاظ في سياقات مختلفة.

_ اعتبار المترادفات مجرّد تضخّم لغوي.

_ كثير الألفاظ الّتي عُدّت من التّرادف، إنّما هي من أشباهه أو من المتباينات.

---

(1) ينظر، توفيق محمّد شاهين، المشترك اللّغوي(نظريّة وتطبيقا)، ص235_238.

(2) المرجع نفسه، ص237.

(3) ينظر، محمّد المنجِّد، التّرادف في القرآن الكريم(بين النّظريّة والتّطبيق)، ص90.

(4) ينظر، أحمد مختار عمر، علم الدّلالة، ص225.

أمّا إبراهيم أنيس فلم ينسق مع المغترّين بكثرة فوائد المترادفات، وإنّما كان هدفه الإشارة إلى ذلك النّوع من الكلمات الّتي حسبها نفر غير قليل من العلماء مترادفات فَمَوْجب تفرّعها من جذر واحد هو من غرَسها فكرة راسخة في أذهانهم وهي علّة تُردّ عليهم ولا تُحسب لهم؛ إذ إنّها لُبّ علاقة التضمّن وهي تسقط تماما عليها. وهو ينظر فروقا تحقّقها علاقات صوتية بين كلمات عدّها الأقدمون مترادفات غير أنّ المعنى الدّقيق للظّاهرة ينفي ذلك. وهذه عيِّنة منها: «هلَبت، وألْبَتْ» فإن قيل: هلبت السّماءُ القوم فإنّ الجملة مفادها أنّ تساقط المطر كان متتابعا، أمّا قول آخرين: ألبت السّماء ففيه معنى مستزاد؛ أي إنّ المطر في هذه الحال سقط متتابعا دون انقطاع. والجملتان تحويان معنيين هما: التّتابع والدّوام، ونظرة فاحصة لهما تُنْبِئُ أنّهما مشتمَلَتَيْن في حقل واحد هو نزول الغيث بعَدِّهما من نوع الجزيئات المتداخلة وهذا ما دلّ عليه التدرّج الواسِمَيْن به خانات واصفة لحالات سقوط المطر.

ومفردتي «رَمقَ، ولمَقَ» عيِّنة ثانية، فالرّمق يعني النّظر لحظة لشيء وتغيير الزّاوية في وقت قليل، غير أنّ اللّمق هو دوام النّظر.[1]والتّحليل السّابق ينطبق على المثال اللّاحق.

أمّا محمود فهمي حجازي فنظر تلك الفروق في كنف مبدأ نسبيّة الدّلالة، فما عُدّ ترادفا إنّما هو من المتقاربات دلالة، وهذا التّقارب ربّما يُنمّ عن اشتمال معنى ما لآخر.[2]

وممّن صنّف في الفروق «محمّد محمّد داود»؛ إذ الْتَمَس البَوْن القائم بين مفردات أعظم نصّ فألفاها دقيقة لا تكاد تُلمَح، والآتي زمرة من تلك الكلمات الّتي وقف على دقائق معانيها من نحو لفظتي «الأب، والوالد»، فالأولى استُعملت في القرآن بمعنى «الأب المباشر» و «الجَدّ»، فهي شاملة ومتّسعة[3] "لكلّ ما كان سببا في وجود الشّيء أو رعايته أو ظهوره"[4]، أمّا الثانية(الوالد)

(1) ينظر، إبراهيم أنيس، في اللّهجات العربيّة، ص159_160_163.

(2) ينظر، حاكم مالك لعيبي، التّرادف في اللّغة، ص261.

(3) ينظر، محمّد محمّد داود، معجم الفروق الدّلاليّة في القرآن(لبيان الملامح الفارقة بين الألفاظ متقاربة المعنى، والصيغ والأساليب المتشابهة)، دار غريب، القاهرة، د ط، د ت، ص25.

(4) المرجع نفسه.

فمعناها محدود مقتصر على «الأب المباشر» سببُ وجود الابن[1]؛ وهي أخصّ أو أدنى منزلة من سابقتها. ووفقا للآنف ذكره يتبيّن أنّ بين اللّفظتين علاقة تجلّت في تضمُّن الأولى للثانية، فهذه الأخيرة محتواةٌ ومشتمَلة في سابقتها.

وفي غير الكلمتين نَظَر الباحث ذاته بونا بين مفردتي «أتى وأعطى»؛ وذلك في النصّ القرآني كما نُوِّه آنفا؛ حيث إنّ «الإيتاء» شأنُه عظيم، فلا يكون إلّا للملك والحكمة والرّحمة والخير والقرآن، وفيه من القوّة والرِّضا وطيب النّفس مالا يوجد في «الإعطاء» هذا الأخير المستعمَل للشّيء القليل اللّهمّ إلّا ما كان مقيَّدا بما يدلّ على الكثرة، والمرء لا يُعطي إلّا عن قَبول وكُره.[2] وزبدة التّحليل الآنف أنّ الكلمتين كلتيهما مُشتَمَلَتان في حقل «البذل» أو «بذل الشّيء»، بيد أنّ احداهما أَعَمُّ وأشمل من الأخرى، وقد تتضمّنها أو تحتويها.

وبِحُكْمِ العموم والخصوص تَبيَّن محمّد داود الفرق بين كلمتي: «أثاث ومتاع» في القرآن الكريم، حيث إنّ المعنى اللّغوي للمتاع يدلّ على كلّ ما انتفع به الإنسان من حوائج كالأكل واللّباس والحياة وغيرها، أمّا «الأثاث» فجاء بمعنى الكثرة والعِظَم، وهو الكثير من المتاع.[3]وهذا الأخير خاصّ في «الأثاث» العامّ.

وعلى منوال سابقيه سار أحمد مختار عمر مفصحا عن الفروق بين بعض كلمات عُدّت من التّرادف، من نحو: عقيلته، وحَرمِه، وزوجته، وامرأته، فاعتبر الأولى لفظة رسميّة تُستعمل مع كبار الشّخصيات، بينما تنزل الثانية عنها بعض الشّيء مكانة؛ أي إنّ الثانية تندرج تحت الأولى، وبهذا انزاح عن ظاهرة التّرادف نحو غيرها ممّا يحتَمل تدرُّجا في الدّلالات. وقدّم الباحث ذاته أمثلة استقاها من رأي collinson، مستبدلا تلك الكلمات الإنجليزيّة بكلمات عربيّة، حيث التمس هذا الأخير دقائق فروق مبرزا البون بين كلّ لفظتين، ففي حقل البكاء مثلا أتى على ذكر

(1) ينظر، المرجع السّابق.

(2) ينظر، المرجع نفسه، ص27-28.

(3) ينظر، المرجع نفسه، ص29_30.

« بَكَى، وانْتَحَب» جاعلا احداهما شاملة للأخرى. وفي غير الكلمتين سلك الوِجهة عينها، مُبينا عن الفرق بين «أنهك، وأتعب» وأنّ أحد اللّفظين أقوى وأحدّ من الآخر.[1]

كما لم يرضَ المحدَث توفيق محمّد شاهين نزعة الغلوّ في القول بالتّرادف مرجعا العلّة في ذلك للفروق الّتي أغفلها بعضهم وأوشكَ تناسيها يَحصلُ، والنّاتج تَفَلُّتُ الصّلة بين تلك المعاني، وخلطٌ بين الألفاظ الجاهليّة والإسلاميّة نظرا للمدّة الزّمنيّة الضّئيلة بين المرحلتين، وهو اصطباغ خاطئ يراه الباحث وأمّا ترك الحبل على الغارب في سبيل هذه العلاقة هو إسراف غير محمود.

ويشير الباحث ذاته إلى نفر كان قد جَحَدَ ظاهرة التّرادف في العربيّة، جاعلاً منها سببا في جمود الأخيرة وفنائها، وهذه نماذج في تفريقهم بين بعض ألفاظ أخرجوها من دائرة التّرادف: من نحو كلمتي «القديم والعتيق».[2]

"فالعتيق هو الّذي يدرك حديث جنسه فيكون بالنّسبة إليه عتيقا "[3]؛ فمن غير الممكن قول قائل: إنّ السّماء عتيقة رغم مكثها الطّويل، كونها لا تتأثّر بالزّمان، وغير موجود ما يُناظِرُها من جنسها فتكون عتيقة بالنّسبة إليه.[4]

أمّا «وليم ألستن william p .alston» فقال بتعذّر وقوع ترادف تامّ في غالب الأحايين؛ فللمعنى حدود متباينة حالت دون ذلك، وكون الألفاظ متعدّدةُ المعاني في الاستعمال، عَسُر حلول لفظة مكان أخرى وبالمعاني نفسها، فانتفاء تطابق واضح بين المعاني يقف عقبة في سبيل تحقّق ترادف تامّ. وعزا الباحث عينُه تلك الاختلافات القائمة بين المعاني إلى عديد الزّوايا والاعتبارات:

أُولاها: المحيط الاجتماعيّ، فقد تبدو احدى الكلمات مناسبة في عُرف المجتمع أكثر من

سواها، على نحو كلمتي ill and sick، فـ«ill» تستعمل في الحديث بأدب. يضاف إليها تداعي المعاني كاعتبار ثان؛ حيث إنّ كلّ كلمة قد تستدعي معنى في الذّهن لا تستدعيه الأخرى وذلك

(1) ينظر، أحمد مختار عمر، علم الدّلالة، ص228.

(2) ينظر، توفيق محمّد شاهين، المشترك اللّغوي(نظريّة وتطبيقا)، ص23_235_236.

(3) المرجع نفسه.

(4) ينظر، المرجع نفسه.

حاصل بين لفظتي «ground , earth»، فـ«earth» تضمّ معانٍ عديدة مترابطة من شاكلة: الأرض الأمّ، خصوبة الأرض...، بيد أنّ «ground» لا تحقّق المعاني تلك، كونها أخصّ دلالة من سابقتها «earth»، وثالث الاعتبارات يتمثّل في الدّافع الانفعالي التّأثّري، فقد تحمل احدى اللّفظتين قيمة غير الّتي تحملها الأخرى بدافع حِدَّة الموقف وقوّته.[1]

علاقة التّضمّن:

تتعدّد الرّموز اللّغويّة الّتي تجمع بينها مقوّمات دلاليّة، وقد تكون مساحة اللّفظ منها رحبةً تَسَع لغيره من كثير الكلمات، في حين يمكن أن تضيق إلى حدٍّ أن تُضَمَّ هي ذاتها داخل مساحة دلاليّة ثانية، تلك هي حركيّة مفردات اللّغة تُسيطِر أحيانا فتمكّن لنفسها مساحة فسيحة، ويُسَيطَر عليها أحايين أُخَر فتضيق منطقتها، ثمّ إنّ الألفاظ الّتي يحتويها مجالٌ واحد تربطها غير العلاقة الواحدة، منها: التضمّن أو الاشتمال، أو الاحتواء فهي مصطلحات وأخرى وَضَعَها الباحثون المُحدَثون في مجال العلاقات الدّلاليّة وكان المفهوم حسب الواضِع وما أَطلَقَه، وهذه بعض حدود جرت عليها ألسنة المحدثين:

"تُعَدُّ علاقة الاشتمال أهمّ العلاقات في السِّيمانتيك التّركيبي، والاشتمال يختلف عن التّرادف لأنّه تضمُّن من طرف واحد "[2] وفيه الاشتمال هو الإطلاق.

وهذا حَدٌّ ثانٍ جاء على لسان أحمد محمّد قدّور: "ويَدلُّ على الدّالّ الّذي يكون مدلوله عامّا لأنّه يضمّ دلالات متعدِّدة تنضوي تحته "[3]، وهو تعريف أقرب إلى جِدّة الوضوح من غيره.

وبلفظ العموم والخصوص أتى صاحب كتاب «مدخل إلى علم اللّغة» ناصّا الآتي كتابته: "العموم والخصوص من العلاقات الدّلاليّة الأساسيّة، وتختلف الألفاظ في داخل المجموعة الواحدة

(1) حاكم مالك لعيبي، التّرادف في اللّغة، ص265_266.

(2) أحمد مختار عمر، علم الدّلالة، ص99.

(3) أحمد محمّد قدّور، مبادئ اللّسانيات، ص370.

من هذا الجانب اختلافا بعيدا "[1]، وعليه فإنّ حجازي هنا ينبِّه إلى البون القائم بين الألفاظ المنضوية تحت المجموعة الواحدة من ناحية العموم والخصوص.

أمّا الغرب فقد تَحصَّل لديهم شبه إجماع حول مصطلح «ليبونيمي» على شاكلة الباحثَيْن «جرمان ولوبلون» القائلَيْن: "إنّ مصطلح «ليبونيمي» إذن يتعلّق بعلاقة تضمّن معنى جزئي محدَّد ضمن معنى عامّ "[2]، والآتي محاولة للغوص في بحر هذه العلاقة الدّلاليّة.

لقد درس المحدثون علاقة الاشتمال، واعتبروها احدى العلاقات الدّلاليّة المهمّة للرّبط بين الوحدات اللّغويّة، والبداية مع عبد الكريم جبل الّذي جعل للاشتمال تعريفا بعد أن خصّه بحديث ضمَّنَه في مصنَّفِه «علم الدّلالة» يقول فيه: "أنّه العلاقة الّتي تربط بين الوحدات الدّلاليّة العامّة والخاصّة "[3]، وحرّر لها المثال بالعلاقة بين اللّفظين «القِطّ والحيوان»، والوحدتين «الكرسيّ والأثاث»، ولم يَغفل عن التّنويه بأنّها علاقة انتقاليّة «Transitire»[4] وتوضيحها بمقولة أحدهم: "إنّ لفظ البقرة مُتَضَمَّنٌ hyponym في لفظ الثّديِّ _من الثدييات_ وأنّ لفظ الثّديّ متضمَّن في لفظ الحيوان، فإنّ ذلك يعني أنّ لفظ البقرة متضمَّن في لفظ الحيوان " .[5] ويسمَّى اللّفظ العامّ على غرار «الحيوان والأثاث» باللّفظ المتضمِّن superordimate word أو الكلمة الغطاء corer word، أمّا «القطّ والكرسيّ» وهي المشتمَل عليه(المشتمَلات) فيُطلَق عليها اسم «المتواصلاتcohyponyms»[6]، والآتي تمثيل للعلاقة الانتقاليّة:

(1) محمود فهمي حجازي، مدخل إلى علم اللّغة، دار قباء، القاهرة، د ط، د ت، ص151.

(2) كلود جرمان، ريمون لوبلون، علم الدّلالة، ص65.

(3) عبد الكريم جبل، في علم الدّلالة(دراسة تطبيقية في شرح الأنباري للمفضّليات)، دار المعرفة الجامعيّة، د ت، ص211.

(4) ينظر، المرجع نفسه.

(5) المرجع نفسه.

(6) ينظر، المرجع نفسه، ص211.

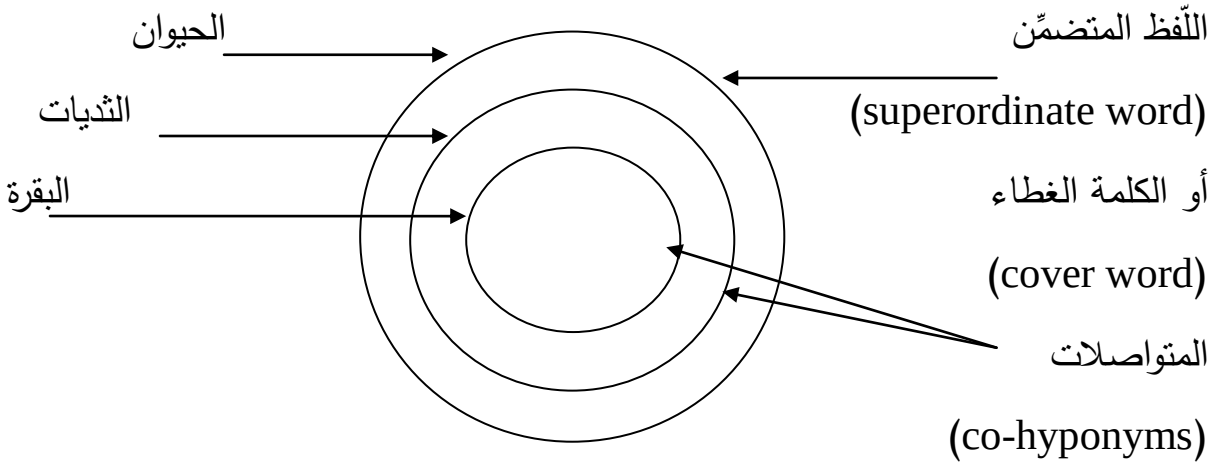

وكانت انطلاقة جون لاينز من التّناظر الحاصل بين جملتين واحدة مُثبَتة والأخرى منفيّة، والّذي يفسَّر بموجَب قواعد اللّغة، فلو قال أحدهم: «جون ليس متزوّجا»، وقال آخر: «جون متزوّج» فإنّ التّناظر بينها أو بالأحرى التّقابل يمكِّن الجملة المنفيّة من إنكار ما حملته الجملة المثبتة علانية، وبناء على هذا المفهوم للتّأكيد والإنكار، يمكن أن يُكوَّن مفهوم أهمّ دلاليّا حول التّضمين أي: يستطيع الواحد منّا أن يقول: إنّ الجملة الأولى(ج1) تتضمّن الجملة الثانية(ج2) ويعبّر عنه رياضيّا أو بالرّموز كما يلي: ج1C ج2(الجملة الثانية مُحتواة في الجملة الأولى)، مع شرط اتّفاق النّاطقين باللّغة على عدم التّمكّن من تأكيد(ج1) فعليّا وصراحة بالتّالي انتفاء الإنكار صراحة في الجملة الثّانية(ج2)، فيما يُرجَّح إنكار الجملة الأولى ضمنيّا وإذن ليس لنا أن نقول: "ج2_ج1 لاتتضمّن ج2: ج1C ـ ج2 _ "[1]،(نفي)، في حال ما لم يتناقض المتكلّمون باللّغة في أنّ التّأكيد الصّريح لـ(ج1) يقول باستحالة التّأكيد الصّريح لـ(ج2).

ومن المؤكّد أنّ تعريف التّضمين بهذه الطّريقة يقبل الفحص الموضوعيّ، من غير أن ينطبع في الأذهان أنّ كلّ النّاطقين باللّغة سيتّفقون حتما أنّ جملةً ما تتضمّن جملةً أخرى وليس إلزاما أن يستخلص كلّ النّاطقين باللّغة من كلمٍ ما التّضمين نفسه تماما، والحاصل أنّه ثمّة تداخل جلل في المضامين الّتي يُكوِّنُها مختلف النّاطقين وهو الحائل دون سوء الفهم في غالب الأحيان.[2]

(1) جون لاينز، علم الدّلالة، ص72.

(2) ينظر، المرجع نفسه.

أمّا جون لاينز فقد أطلق على هذه العلاقة الدّلاليّة تسمية Lhyponymie وحدَّث أنّها علاقة أساسيّة للمعنى، وهو مصطلح وُجِد قياسا على مصطلحَيْ التّرادف والتّضادّ ويُقصَد به التّضمُّن أو بالأحرى الاشتمال، فمثلا معنى «أُرجواني» مُتضمَّن في كلمة أو هي تشمله. وفي حال تواجد مجموعة من الوحدات يشملها أو يحويها معنى عامّ واحد superordoennes سمّى لاينز ألفاظ تلك المجموعة بـ«كوهيبونونيم»[1] كما هو الحال في الوُرُود والألوان:

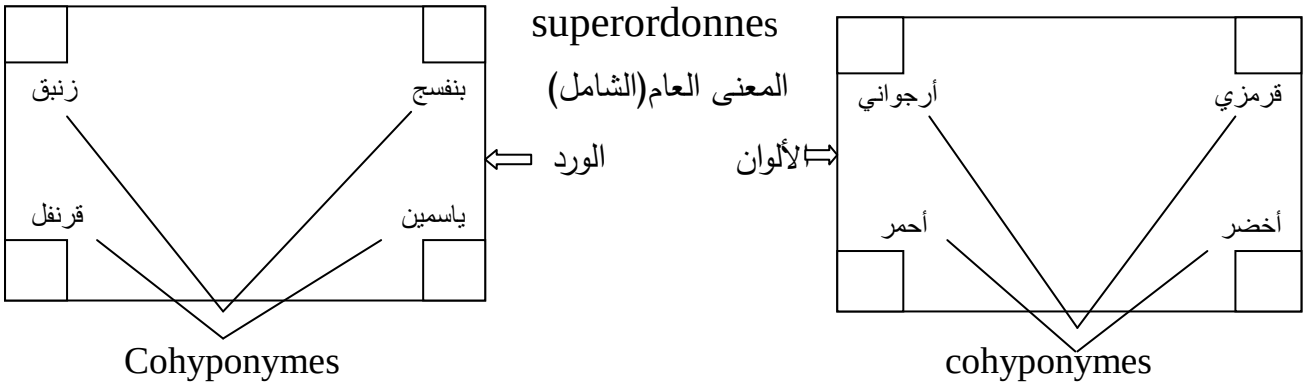

والحقيقة أنّه مفهوم يتضاءل في اللّغات الطّبيعيّة، في حين أنّه يتزايد وترتفع نسبته في علم قوانين التّصنيف العلميّة مثل ما هو عليه في علم النّبات والحيوان، ويزيد تحقّقه قلّة في بعض اللّغات من مثل الفرنسيّة، وتبقى خانات عديدة فاضية ففي اللّغة المذكورة تظلّ خانة «المعنى الشّامل» فاضية فما من معنى شامل يضمّ كلّ الكلمات الّتي تعني «الأداة» على سبيل المثال.[2]

وتختلف اللّغات من هذا الجانب جسيم التّباين، فكلمة «طالب» في اللّغة العربيّة لها منطقة دلاليّة أوسع من مساحة «student» في الألمانيّة:

طالب ⟸ الدّارسين في مرحلتي التّعليم العامّ والدّراسات العليا بالجامعة، تلاميذ المدارس الثّانويّة، الدّارسين بمراكز التّدريب المهني.

Student ⟸ طالب مرحلة اللّيسانس.

(1) ينظر، كلود جرمان، ريمون لوبلون، ص64_65.

(2) ينظر، المرجع نفسه، ص65.

Kandidat ⟸ طالب الدّراسات العليا.

Praktikant ⟸ المدرِّب في التّعليم المهني.

وهو من بين الأمثلة الّتي تفرض على المعجميِّ مُراعاة العموم والخصوص في مدلول الكلمات بين لغة وأخرى من حيث إنّه ليس بمتطابق.[1]

وقدّم أبو هلال العسكري عملا دلاليّا فريدا _ من غير تناسٍ لجهوده اللّغويّة والنّقديّة_ جُسِّد من خلال مصنَّفه «الفروق اللّغويّة» الحاوي لثلاثين بابا رَغِبَ فيه إظهار المساحات الدّلاليّة للألفاظ المتداخلة عند علماء اللّغة وأهلها[2]، قال في مقدّمته: "إنّي ما رأيتُ نوعا من العلوم وفنّا من الآداب إلّا وقد صُنِّف فيه كتب تجمع أطرافه، وتنظِّم أصنافه إلّا الكلام في الفرق بين معانٍ تقاربت حتّى أَشْكَل الفرق بينها نحو: العلم والمعرفة...فإنّي ما رأيتُ في الفرق بين هذه المعاني وأشباهها كتابًا يكفي الطّالب ويُقنِع الرّاغب..." .[3] يبدو من كلمة أبي هلال قصدَه إلى درس تحليليّ للدّلالة اللّغويّة، وشرح المعاني، وبسط المساحة الدّلاليّة الّتي يقف الرّمز الخاصّ بها محدِّدا لها.[4]

أمّا التّضمين ⟸ hyponomy هو الاصطلاح الّذي أسقطه «بالمر» على مفهوم الاحتواء «inclusion» ونوّه إلى أنّ التّسمية الأولى «التّضمين» تُذكِّر بالثّانية على غرار مفردة «زنبقة» المُحتواة في حقل الورود، فهذه الأخيرة هي اللّفظة العليا الضّامنة «superordinate word» والسّفلى التّضمّنية «hyponomy» تعود على الزّنبقة.

وعَنِيَ الباحث بفصيلة مختلفة بعض الشّيء عمّا ذُكر آنفا تتمثّل في «الأعضاء ذات التّضمينات المتكافئة» على خطِّ كلمة «غنم» الّتي يَحوي إطارُها سائر المخلوقات المنتمية للنّوع

(1) ينظر، المرجع السّابق، ص152.

(2) ينظر، فايز الدّاية، علم الدّلالة العربي(النّظريّة والتّطبيق)، ص24.

(3) المرجع نفسه، ص25.

(4) ينظر، المرجع نفسه.

عينه «شاة، حمل، كبش، خروف» وهو ما انقطع تحصيله مع مفردة «كلب» فإن اعتبرناها اللّفظة الضّامنة فقد لا يستوي الاعتبار تماما إذ إنّها تُعَدّ تضمينيّة في الوقت نفسه مقارنة بـ «كلبة».

وبالإمكانية قال « بالمر» عن تكوين مجاميع تضمينيّة في حال غياب تضمينات بكلماتٍ مُفردةٍ « كلمة ضامنة»، ومنظورٌ هذا في كلمة « الزّرافة» فبوسعنا تحويط كلمات « ذكر الزّرافة، أنثى الزّرافة، الزّرافة الطّفلة» تحتها.

ثمّ أقرّ بأنّ علاقات التّضمين من لغة لأخرى هي تتباين والمثال على ذلك مفردة «البطاطا» الّتي يصنّفها أبناء لغة الضّاد في فئة «الخضراوات» بيد أنّ اللّغة الألمانيّة تُبعدها عن هذه الفصيلة، أي لا تجعلها محتواةً في الضّامنة « خضر».[1]

وتُعدّ علاقة الاشتمال أهمّ العلاقات في السّيمانتيك التّركيبي، وهي تختلف عن التّرادف في أنّها تضمّن من طرف واحد بحيث يكون(أ) مُشتمِلا على(ب) بمعنى احتواء (ب) لـ (أ) باعتبار اللّفظ العامّ الجامع لعديد الألفاظ المنتمية لحقل دلاليّ واحد على نحو مفردة « فرس» المتضمَّنة في فصيلة عليا هي «الحيوان» وهناك مُسمَّيات بديلة أُطلقت على اللّفظ المتضمِّن:

_ اللّفظ الأعمّ ⟸ hyperonymy

_ الكلمة الرّئيسية ⟸ head word

_ الكلمة الغطاء ⟸ cover word

_ اللّكسيم الرّئيسي ⟸ archlexeme

_ الكلمة المتضمِّنة ⟸ superordinate word

(1) ينظر، أف. آر. بالمر، علم الدّلالة، ص100_101_102.

_ المُصنِّف ⟸ classifier

وهي خاصّية لا تنطبق على جميع اللّغات على نحو: اللّغة الإنجليزيّة، وإن كان للنّاطقين بهذه الأحرف قدرة على ملء هذه الفجوة باستخدام وسائل مختلفة، ومن أنواع الاشتمال «الجزيئات المتداخلة» ويعني ذلك التّدرّج في المفردات من الأدنى إلى الأقصى، أو على خلاف ذلك.[1]

وذا رسم توضيحيّ للجزيئات المتداخلة overlapping segm :

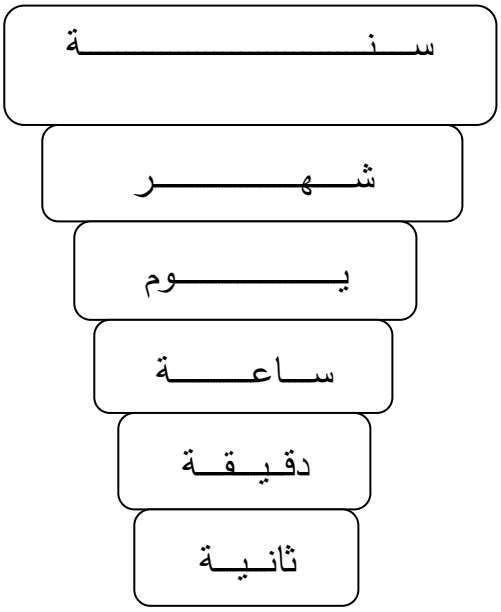

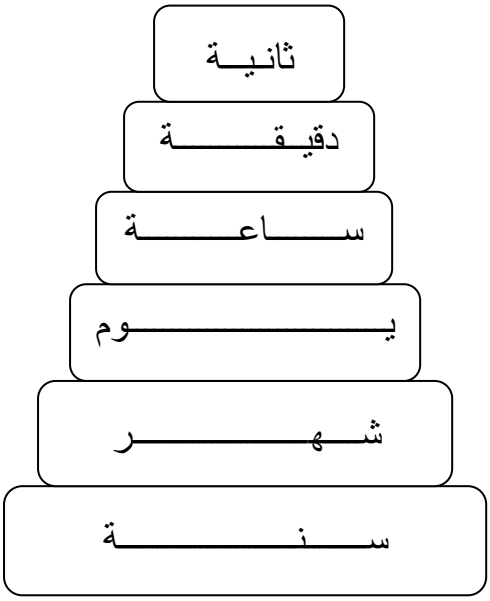

وكما جعل «الاحتواء» من معاني التّضمّن مكّن له «الاستلزام» أيضا فقولنا: «هذه زنبقة» يشترط «هذه وردة»[2] وعلى الشّكل الآتي صاغ التّرابط بين الزّنبقة والوردة:

" A س(ز«س»⟸ و«س») على الرّغم من أنّ مثل هذه المعادلة لن تصنع بنفسها التّصنيف الهرميّ الموجود في التّضمين، إذ بما أنّ الزّنبقة، والزّهرة هما أيضا نبتتان، نستطيع أن نقول:

A س(ز«س» – ن«س») و A س(و«س» – ن«س») " .[3]

(1) ينظر، أحمد مختار عمر، علم الدّلالة، ص99_100.

(2) ينظر، المرجع نفسه، ص102.

(3) المرجع نفسه.

من غير أن يتبادر إلى الأذهان بأنّ الزّنبقة والوردة تضمينتان متكافئتان لـ «نبات» فلا خلاف أنّ المتضمَّنة المباشِرة للنّبات هي «وردة» أمّا « الزّنبقة» فهي المتضمَّنة المباشِرة لـ «وردة».[1]

أمّا محمود فهمي حجازي فقد استخدم مسمّى آخر مُرادِفا للتّضمّن هو « درجة العموم » مُقِرّا بأنّه من العلاقات الدّلاليّة الأساسيّة وذِكره أنّ ألفاظ المجموعة الواحدة تختلف اختلافا بعيدا من هذا الجانب، فهذه الكلمات الدّاخلة تحت كلمة « الحيوان» وهي كلمة ذات دلالة عامّة يندرج في مساحتها أُخَرُ كلمات فيها من العموم درجة ما، وبالإمكان أن تتواجد تحت أيّ كلمة منها مجموعةٌ أكثر تخصّصا.[2]

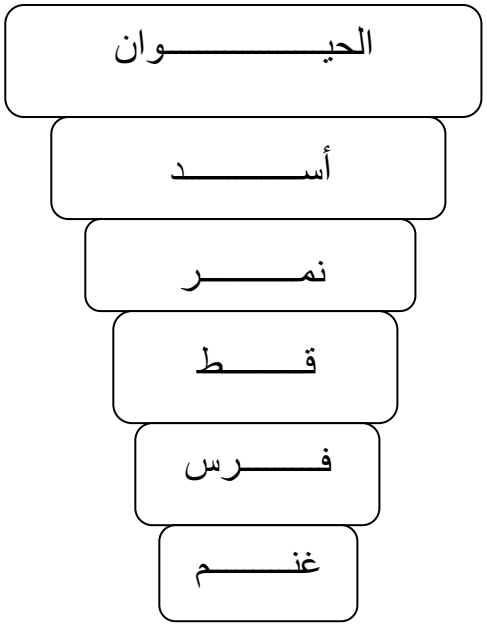

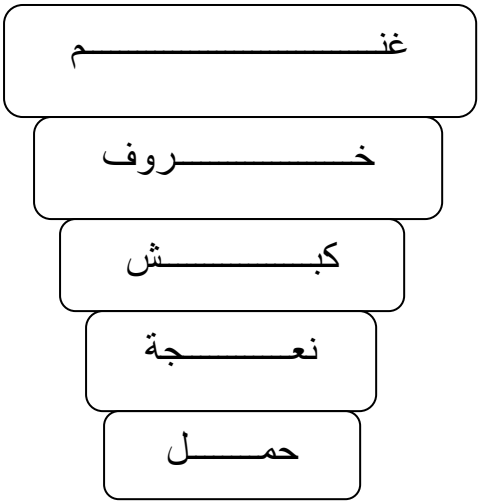

(1) ينظر، المرجع السابق.

(2) ينظر، محمود فهمي حجازي، مدخل إلى علم اللّغة، ص151.

مخطّط الكلمة في اللّغة العربيّة

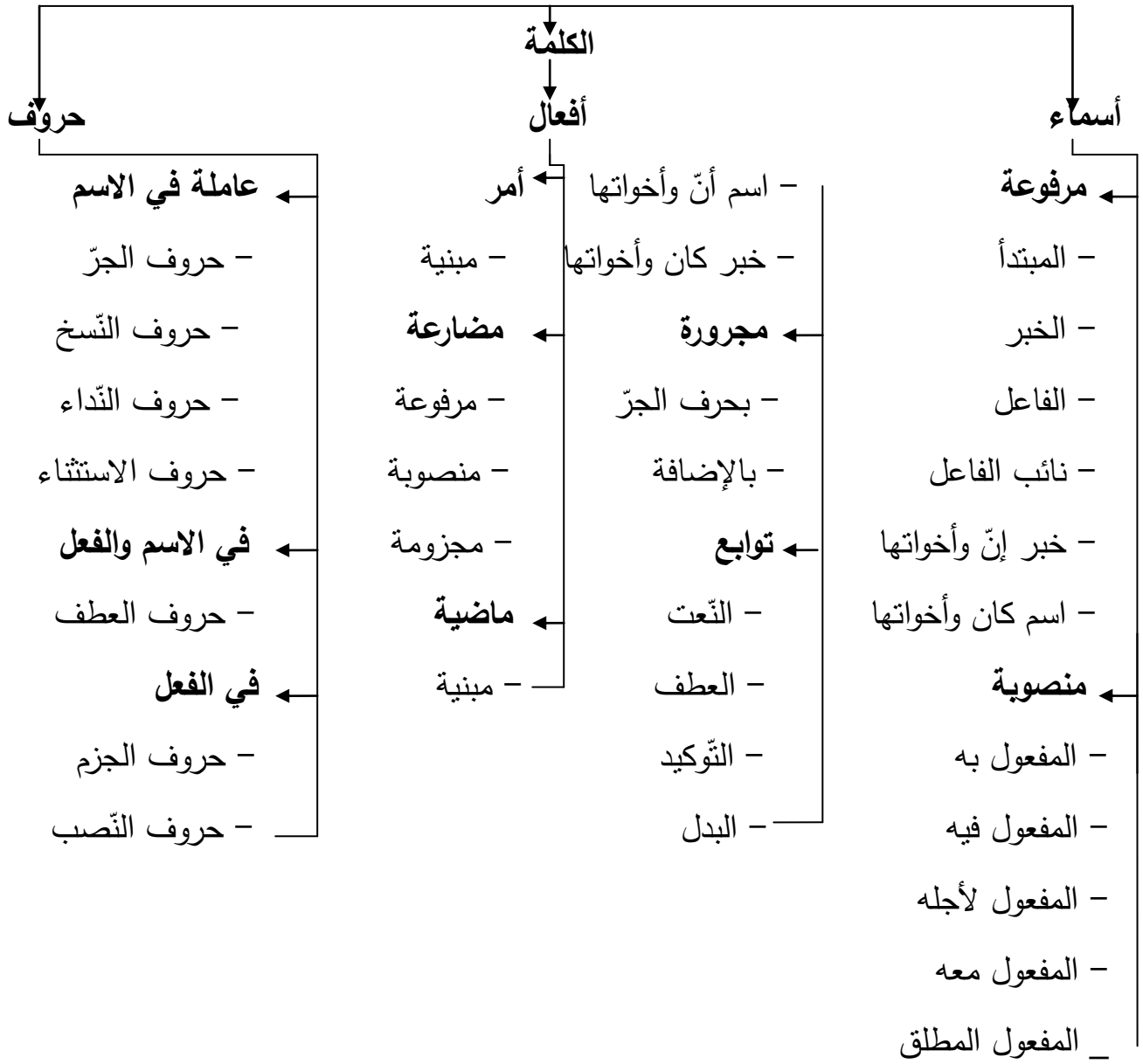

الفصل الثّانـي

دور التضمّن في الكشف عن المعنـى

دور التّضمّن في الكشف عن المعنى:

حاولنا عبر صفحات هذا الفصل إلقاء نظرة حول الغريب بصفة عامّة، أمّا الخصوصيّة فقد انصبّت حول كتاب السّجستاني بعد المرور بتعريف شخصه، ثمّ شرعنا في استخلاص بعض الحقول من مصنَّفه، وتجسيدها في جداول.

حول الغريب:

يعدّ الاتِّجاه اللّغوي في تفسير غريب القرآن الكريم من أقدم الاتِّجاهات الّتي عُرِفت في التّفسير، وهو ينقسم إلى أقسامٍ ثلاثة وإن تداخلت أحياناً:

1) القسم المتعلِّق بمفردات اللّغة، وقد أودع العلماء الأقدمون طائفةً من المُؤَلَّفات في هذا القسم، عُلِّمت بكتب غريب القرآن.
2) القسم الخاصّ بالنّحو والقضايا الإعرابيّة.
3) القسم المرتبط بالبلاغة والأساليب البيانيّة.

فأمّا محور الاهتمام هنا فمُنصبٌّ على مُتصدِّر ترتيب الأقسام الثّلاثة فيما سبق ذكره، وإنّ القارّ حقيقته أنّ الذّكر المبين تضمّن كلمات غريبة؛ تارة يكون معناها غامضاً لا يُدرَك بغير جهد البحث والتّنقيب، وأخرى يكون معناها جليّاً لدى قوم غير مُحضَر لدى غيرهم لأنّ المفردة عينها يستعملها بطن فأبناؤه يدركون كُنهها، على خلاف غيرهم، وليست من جِدّةٍ في الأمر، فهو قديم وهي أخبار الصّحابة المُؤكِّدة لذلك[1] قال السيوطي: "فهذه الصّحابة وهم العرب العُرَباء، وأصحاب اللّغة الفُصحاء، ومن نزل القرآن عليهم بلغتهم، توقّفوا في ألفاظ لم يعرِفوا معناها فلم يقولوا شيئا فأخرج أبو عُبيد في الفضائل عن إبراهيم التّيمي: أنّ أبا بكر الصِّدِّيق سُئل عن قوله تعالى: ﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾**[عبس:31]** فقال أيُّ سماء تظلّني وأيُّ أرض تُقلُّني إن قُلت في كتاب الله ما

(1) ينظر، محمّد بن لطفي الصّبّاغ، لمحات في علوم القرآن (واتِّجاهات التّفسير)، المكتب الإسلامي، بيروت، ط3، 1410هـ/1990م، ص220.

لم أعلم؟ وأخرج عن أنس: أنّ عمر بن الخطّاب قرأ على المِنبر ﴿وفاكهة وأبّاَ﴾ فقال: هذه الفاكهة قد عرفناها، فما الأبُّ؟ ثمّ رجع إلى نفسه فقال: إنّ هذا لهو التّكلُّف يا عمر " [1]؛ وإذن فكتب غريب القرآن الكريم هي الّتي عالجت مثل هذه المفردات مُزِيلةً الغرابة عنها، وفي قول سليمان الخطّابي توضيح لكلمة الغريب: "الغريب من الكلام إنّما هو الغامض البعيد عن الفهم، كما أنّ الغريب من النّاس إنّما هو البعيد عن الوطن المُنقطع عن الأهل " [2] ،ويُؤتى بالغريب من الكلِم بغية وجهين: "أحدهما: أن يُراد به أنّه بعيدُ المعنى غامضه لا يتناوله الفهم إلّا عن بعد ومعاناة فكر. والآخر أن يُراد به كلام من بعّدت الدّار من شواذِّ قبائل العرب، فإذا وقعت إلينا الكلمة من لغاتهم استغربناها " [3] .والتّأليف في غريب القرآن الكريم قديم، ويُعزى أوّل كتابٍ من هذا النّوع للصّحابي عبد الله بن عبّاس، ويرى حسين نصّار أنّ مادة المُصنِّف إنّما هي جمعٌ لنفر من الرُّواة على لسان ابن عبّاس ولم يُدوِّنه بنفسه ومن الأعلام الأوّلين لهذه الحركة: محمّد بن السّائب الكَلبي الكوفي (ت146هـ)، أبو فيد مؤرج عمرو السدوسي (ت174هـ أو 190هـ)، عليّ بن حمزة الكِسائي (ت182هـ)، يحيى بن المبارك اليزيدي (ت202هـ)، وأبو بكر محمّد بن عزيز السّجستاني (ت330هـ)[4].

في رِحاب الكتاب:

"ومن أشهرِها كتاب العزيزي: فقد أقام في تأليفه خمس عشرة سنة يُحرِّره هو وشيخه أبو بكر بن الأنباري، وذكر أبو البركات الأنباري: أنّ السّجستاني صرّف كتابه في خمس عشرة سنة وكان يقرؤه على شيخه أبي بكر الأنباري فكان يُصلِح له فيه مواضعاً " [5]ذلك نصُّ السيوطي في هذا الكتاب الّذي كانت مقدِّمته جدُّ موجزة وهذا لفظها بعد الحمدلة: "وبعد فهذا تفسير غريب القرآن

(1) المرجع السّابق.

(2) المرجع نفسه، ص220.

(3) المرجع نفسه.

(4) ينظر، المرجع نفسه.

(5) جلال الدِّين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ص728.

أُلِّف على حروف المعجم، ليقرب تناوله، ويسهُل حفظه على من أراده وبالله التّوفيق والعون ".[1] فأمّا ترتيبه فقد كان على حروف المعجم، ولم يُرجع الكلمة إلى مادّتها الأصل، مُراعياً نطق الكلمة مراعاةً تامّة، ولم يحذف الحروف الزّائدة؛ فكلمة «أثقال» مثلاً لم يصنِّفها في باب الثّاء إنّما دُرِجت في باب الهمزة، وأمّا الحرف فقد قسّمه إلى أبواب ثلاثة حيث إنّ المتصفِّح لهذا الكتاب يجد في حرف الباء(باب الباء المفتوحة، وباب الباء المضمومة، وباب الباء المكسورة)، ولم يُراع في الكلمات المنتمية لباب واحد ترتيب الحروف بعد الحرف الأوّل وإنّما انصبّت رِعايته على ورودها في المصحف والسّور، والاختصار الشّديد هي ميزةٌ طبعت شرح السّجستاني الشّرح الّذي استشهد فيه بالشِّعر المُحتجّ به، وقد نال مُصنَّفَه إعجاب الباحثين؛ فأثنوا على كتابه مُقِرِّين جودته، وشهد المعجم غير الطّبعة الواحدة فقد طبعه الأستاذ مصطفى عنّاني، وطبعه أيضاً محمّد علي صْبيح، وطُبع ثالثاً بدار التّراث في القاهرة بعنوان «تفسير غريب القرآن» لم تُذكَر فيها مقدِّمة الطّبع، ولا اسم المحقِّق ولا تاريخ الطّبع، ورُتِّبت المفردات على سور الذّكر المبين حسب ترتيب المصحف[2].

شخص السّجستاني:

هو محمّد بن عُزيز السّجستاني، أبو بكر العُزيزي تُوفي سنة: ثلاث مائة وثلاثين للهجرة بما يُوافق ميلاديّاً سنة واحد وأربعين وتسع مائة، مفسِّر اشتهر بكتابه «غريب القرآن» الّذي رتّبه على حروف المعجم بعد أن استغرق خمس عشرة سنة لتصنيفه، أقام بمدينة بغداد، واسم أبيه بالرّاء بدلاً من الزّاي قيل «عزير»[3]، فموضع الاختلاف صائر في آخر حروف اسم أبيه، منهم من قال: عزيز بالزاي المعجمة آخراً، وآخرون قالوا أنّ آخره راء غير معجمة[4].

(1) محمد بن لطفي الصبّاغ، لمحات في علوم القرآن (واتّجاهات التّفسير) ، ص225.

(2) ينظر، المرجع نفسه، ص225_226.

(3) خير الدّين الزِّركلِي، الأعلام (قاموس تراجم)، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط15 ،2002م، ج6، ص268.

(4) أبو البركات الأنباري، نزهة الألبّاء في طبقات الأدباء، تح: إبراهيم السّامرّائي، مكتبة المنار، الأردن، الزّرقاء، ط3، 1405ه/1985م، ص231.

التّواضع والتّديّن سِمتان لزمتا صاحب كتاب غريب القرآن، أو التِّبيان في تفسير غريب القرآن أو نزهة القلوب في تفسير كلام علّام الغيوب، والمنفذ للغرابة من هذا معدوم فالمعلوم أنّه من غلمان ابن الأنباري، وقد عمل في النّزهة مِداد عمره؛ إذ إنّ المنيّة وافته ولم تكتمل قراءته على أبي بكر.[1]

وقد كان عملنا في هذا الكتاب أن قمنا باستخراج بعض الحقول الّتي حملتها دفّتاه، والمتمثّلة في جداول إحصائيّة لظاهرة التّضمّن كانت عناوينها التّالية: حقل الحياة الدّينيّة، حقل الحياة الاقتصاديّة، حقل القرابة والعلاقات، حقل النّبات، حقل العلم، والمعدن، واللّبس، والزّمن، حقل الحيوان، حقل الإنسان، حقل الجمادات، وخُصِّص لكلٍّ منها جدول يتكوّن من خانات سبع هي : الباب، الكلمة الغريبة، تفسيرها، الصّفحة الّتي جاء فيها تفسير الكلمة الغريبة، الكلمة الضّامنة، والتّضمينات، وصفحاتها، وقد كان المرام تبيان اعتماد أصحاب المعاجم على علاقة التّضمّن انطلاقا من مُتقدِّميهم، وأهمّ من ذلك تبيان دور التّضمّن في الكشف عن المعنى، وهو ما احتوته التّحليلات التي عقبت الجداول، فكان أن طبقنا فحوى النّظريات الدّلاليّة الثّلاث الّتي سبق الإلمام بمحتواها خلال الفصل التّمهيدي (النّظريّة السِّياقيّة، نظريّة التّحليل التّكويني، نظريّة الحقول الدّلاليّة)، ومُستعينتين في ذلك كلّه بتفسير السّجستاني(غريب القرآن).

حقل الحياة الدّينيّة						
الباب	الكلمة الغريبة	تفسيرها	الصّفحة	الكلمة الضّامنة	التّضمينات	الصّفحة
المفتوح الهمزة	آيات	علامات وعجائب	4	آيات	علامات عجائب أشراطها سيماهم	22 117

(1) ينظر، أحمد الشّرقاوي إقبال، معجم المعاجم، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 1993م، ص11.

	أوزارهم	أي أثقالهم، يعني آثامهم...	10	أوزار	آثام أثقال جُناح	70
	أناب	تاب، والإنابة الرّجوع عن المُنكَر.		أناب	أوّاب مُنيب هُدنا إليك تاب	20 190 215
	أوحى	وأوحى إليها أحد: أيّ ألهمها وفي التّفسير: أوحى لها أمرها.	27	أوحى	ألهم أمرها	
الأنف المضمومة	أُقسم	أحلف	31	أُقسم	أحلف يأتلي	225
الأنف المكسورة	إلحاد	ميل عن الحقّ	36	إلحاد	تزيغ تزاور فاجر فسوق متجانف لإثم.	52 54 156 157 186

الباء المفتوحة	بلاء	على ثلاثة أوجه: نعمة، واختبار، ومكروه.	41	بلاء	نعمة اختبار مكروه أذى تهلكة مصيبة	7 49 186
التّاء المفتوحة	تعبرون	أي تفسّرون الرّؤيا.	53	تعبرون	تُفسّرون تأويل الأحاديث	53
التّاء المفتوحة	ثواب	أجر على عمل	656	ثواب	أجر	
الدّال المفتوحة	دار السّلام	يعني الجنّة	90	دار السّلام	الجنّة طوبى	136
الحاء المفتوحة	حجّ	أي قصد البيت ويُقال: حججت الموضع أحجّه حجّا إذا قصدته ثمّ سُمّي السّفر إلى البيت حجّا دون ما سواه...	73	الحجّ	القصد السّفر آمّين	8

الزّاي المفتوحة	زكاة	أي نماء وطهارة...	103	زكاة	نماء طهارة الماعون	185
السّين المفتوحة	سعيرا	أي ... وسعيرا أيضا اسم من أسماء جهنّم.		سعيرا	سوء الدّار السُّوءُ جهنّم	115 116
الشّين المفتوحة	الشّفع والوتر	الشّفع في اللّغة: اثنان، والوِتر: واحد، وقيل الشّفع: يوم الأضحى، والوِتر: يوم عرفة. وقيل: الوتر الله (عزّ وجلّ)، والشّفع الخلق خُلقوا أزواجا وقيل الوتر: آدم(عليه السّلام) شفع بزوجته.	122	الشّفع والوتر	اثنان الخلق يوم الأضحى يوم عرفة الله عزّ وجلّ الخلق آدم الصّلاة.	

		وقيل: الشّفع والوتر: الصّلاة، منها شفع ومنها وِتْر.				
الصّلاة المفروضة	الصّلاة	...والصّلاة على خمسة أوجه: الصّلاة المعروفة الّتي فيها الرّكوع والسّجود، والصّلاة من اللّه: التّرحّم... والصّلاة: الدّعاء ...وصلاة الملائكة للمسلمين: استغفار لهم، والصّلاة: الدِّين...	125	الصّلاة	الرّكوع السّجود الدّعاء التّرحّم الاستغفار الدّين	
	صوم	إمساك عن طعام أو كلام أو نحوهما.	126	الصّوم	الإمساك سائحات	113

المعنى المقترح	عابدون	موحّدون... خاضعون أذلّاء.	140	عابدون	موحّدون خاضعون أذلّاء سَلَم قانتون	108 158
المعنى المقترح	العَفْو	أي الطّاقة والميسور، يقال: خُذ ما عفا لك: أي ما أتاك سهلا بغير مشقّة، ويقال: العفو فضل الماء، يقال: عفا الشّيء، إذا كَثُر... العفو: أي تعطون فضل أموالكم...	140	العفو	الطّاقة الميسور فضل الماء الكثرة الفُضلة من المال.	
المعنى المقترح	غمرات الموت	شدائده الّتي تَغمرُه وتُزكّيه كما يغمر الماء الشّيء إذا علاه وغطّاه.	138	غمرات الموت	سكرة الموت شدائده	112

والمُلاحَظ بعد القيام بأولى عمليات الإحصاء أنّ التّضمّن: ظاهرة ضاربةٌ جذورها في غابر الزّمن حيث إنّ وفاة السّجستاني وقعت إبّان ثلاثينيات القرن الثّالث للهجرة إلّا أنّ كتابه احتوى كثيراً منها، ثمّ إنّ الرّجوع إلى تفسيرها يبيّن اقتصار كلّ منها على سياق معيّن لا تصحّ في غيره وهذا هو الحاصل مع بعض مفردات الجدول الّتي تُوضّح جليّاً صحّة انتسابها لعلاقة التّضمّن،

وابتعادها عن التّرادف؛ حيث إنّ إمكانيّة توظيف الألفاظ المترادفة في السّياق الواحد غائبة، وهذا ما حدث مع المفردات الآتية:

"آيات: علامات وعجائب أيضا، آية من القرآن...خرج القوم بآيتهم: أي بجماعتهم". (1)

"أشراطها: علاماتها". (2)

"سيماهم: علاماتهم، والسّيما والسّيماء: العلامة". (3)

ولأنّ المثال يوضّح المقال أُستعين بهذه الجملة: البَرّ واليمّ والعَلَم كلّها آيات المولى جلّ ثناؤه في كونه، فالظّاهر للعيان انتفاء إمكانية توظيف كلمة أشراط أو سيمات في الموضع نفسه الّذي اعتلته كلمة آيات في هذه الجملة، فيما يبقى القول عنها إنّها ضامنة لهما–أي أنّهما تضمينتان لها– ولا غبار يعتريه وعليه فإنّها ثلاثة دوّال تختلف مدلولاتها، وإن اتّفقت في مدلول عامّ هو «العلامة».

أمّا كلمتي «أوزار وجناح» فتُبدِيان الدّور الكبير الّذي يلعبه التضمّن في تبيان المعنى والكشف عنه؛ إذ إنّ الاختلاف الحاصل بينهما يكشف عن المعنى الّذي تلتقي فيه اللّفظتان، كما يكشف عن المعاني المتباينة بينهما، وبالتّالي يكشف أيّ اللّفظتين أعمّ من الأخرى وتحويها، وعلّة القول بهذا تتمثّل في الاهتداء إلى توظيف فحوى نظريّة التّحليل التّكويني:

أوزار: أثقال، آثام، السّلاح "(أوزارهم على ظهورهم): أي أثقالهم، يعني آثامهم...وقوله تعالى:(حتّى تضع الحرب أوزارها): أي حتّى يضع أهل الحرب السّلاح..." (4)

(1) أبو بكر السّجستاني، غريب القرآن(نزهة القلوب)،مكتبة ومطبعة محمّد علي صبيح وأولاده، د ط، 1382هـ/1963م،ص4.
(2) المصدر نفسه، ص22.
(3) المصدر نفسه، ص117.
(4) المصدر نفسه، ص10.

"جُناح: إثم".[1]فالظّاهر للعيان من هذا الشّاهد أنّ لفظة أوزار هي الأعمّ والضّامنة للفظة جُناح.

ولأنّ كلّ كلمة لها مرجعها في العالم الخارجي، تُوظَّف في تركيب ترتبط بالعالم أو جزء منه بطريقة تختلف عن الكلمات الأخرى، تُساق لفظة صلاة كتدليل للآنف ذكره "الصّلاة...الصّلاة المعروفة الّتي فيها الرّكوع والسّجود...والصّلاة من الله التّرحّم، كقوله عزّ وجلّ: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ﴾**[البقرة:157]** أي ترحّم...وصلاة الملائكة للمسلمين: استغفار لهم..."[2]والسّياق في هذه الحالة هو الفيصِل؛ إذ يُعدّ التركيب أحسن طريقة لإدراك معنى الكلمة، حيث إنّه يُسهم في إبراز معناها ويجعلها متباينة عن تلك الّتي تُقاربها أو تبدو مشابهة لها.

حقل الحياة الاقتصاديّة						
الباب	الكلمة الغريبة	تفسيرها	الصّفحة	الكلمة الضّامنة	التّضمينات	الصّفحة
الهمزة المفتوحة	أقوات	أرزاق بقدر ما يُحتاج إليه، واحدها قُوت.	21	أقوات	مغانم أرزاق	175
	أنفال	غنائم، واحدها نفَل...	12	أنفال	غنائم	

(1) المصدر السّابق، ص70.

(2) المصدر نفسه، ص125.

الألف المكسورة	إملاق	فقر	34	إملاق	إرْبة خَصاصة عَيْلة مَخْمَصَة مسغبة متربة فقر	37 87 141 176 184 184
الباء المكسورة	بضاعة	أي قطعة من المال يُتَّجرُ فيها.	47	بضاعة	قطعة من المال	
الرّاء المفتوحة	رغدا	كثيراً واسعاً بلا عناء.	96	رغدا	كثيرا واسعا متاع	173
الرّاء المكسورة	الرّبا	أصله الزّيادة لأنّ صاحبه يزيده على ماله.	102	الرّبا	الزّيادة	

العين المضمومة	عقود	أي عهود	145	عقود	عهود إصر إلّا حبل ذمّة ميثاق	 33 35 74 95 196
الكاف المفتوحة	كَيْل	أي حِمل جمل.	166	كَيْل	السّقاية غُرْفَة مِثقال حِمْل	118 150 197
	كادح	أي عامل.	167	كادح	عامل	
الياء المضمومة	يُخسِرون	أي يُنقصون	235	يُخسرون	هضما يُبخسون يَتِرْكم يَلِتْكم يُنقصون	215 233 228 228

إنّ النّاظر لجدول الحياة الاقتصاديّة يمكنه القول: بإمكانية استخراج جداول عديدة لحقول أخرى انطلاقاً من كلماته الغريبة، وهو أمر سارٍ مفعوله في سائر الحقول، بعدِّ الحقل الأوّل عامّاً

تسع مساحته لاحتضان حقول ثانية، وهذا ما يُعرَف بالجزيئات المتداخلة وهو نوع مُكتنَف في علاقة التّضمّن، فإن قلنا: إنّ الكيل، والبضاعة، والعقود، والرّغد، والفقر، والرِّبا كلّها تضمينات في ضامنة عُليا هي: الحياة الاقتصاديّة، لا يعني ذلك انتفاء انبعاث غير الحقل الأوّل؛ إذ يصحّ لأحد قوله: إنّ «البضاعة» حقل لحاله يضمّ كلمات أخر من مثل: البيع، الشّراء، الموادّ الغذائيّة، موادّ البناء، الملابس....، وتؤكّد الفروق اللّغويّة أنّ العلاقة هنا تضمّن وليست ترادف كما هو الحال مع مفردتي: «العَيْلة، والخصاصة» فأمّا الأولى "عيلة: أي فقرا" [1]، وأمّا الثّانية فيُقصد بها الخلل والفُرَج زيادة عن الفقر والحاجة.[2]

ومن السّابق كتابته يظهر جليّا دور التضمّن في تبيان المعنى؛ فإنّ المتطرّق لهذا الحقل يُفترض عليه الإحاطة بمعاني كلماته حتّى يتمكّن من التّفريق بينها وأيّ منها يلزمه استعمالها في السّياق الّذي يبغيه، فعلى سبيل المثال ليس له أن يوظّف كلمة فقر في مقام كلمة خصاصة من الجملة الآتية: فلان بين أصابعه خصاصة وفُرَج. وعليه فإنّ العودة إلى التضمّن أبانت استحالة التّبادل بين الكلمتين في هذا السّياق، وهو ما دلّ عليه تفسيرهما كما دلّ على الضّامنة من التّضمينة.

حقل القرابة والعلاقات						
الباب	الكلمة الغريبة	تفسيرها	الصّفحة	الكلمة الضّامنة	التّضمينات	الصّفحة
الهمزة المفتوحة	الأرحام	القرابات	8	الأرحام	آبائك إلّا فصيلة مقربة	5 35 155 184

(1) أبو بكر السّجستاني، غريب القرآن(نزهة القلوب)، ص141.

(2) ينظر، المصدر نفسه، ص87.

الباء المفتوحة	بعلي	بعل المرأة: زوجها.	42	بعل	زوج سيّدها	109
الجيم المضمومة	جُزْأ	...وقيل إناثا...	71	جُزْأ	حلائل فتياتكم قواعد كواعب محصنات إناثا	74 153 158 167 187
الخاء المضمومة	خُلّة	أي مودّة وصداقة ...	87	خُلّة	أخدان خليل صديق	8 84 127
الذال المضمومة	ذُرّيّة	أي أولاد وأولاد أولاد...	95	ذُرّيّة	حفدة سُفهاء وِلدان	77 115 213

المعنى المقصود	مولانا	أي وليّنا، والمولى على ثمانية أوجه: المعتِق، والمعتَق، والوليّ، والأولى بالشّيء، وابن العمّ، والصّهر، والجار، والحليف.	175	مولى	المعتِق المعتَق أب ابن العم الصّهر الجار الحليف الوليّ الأولى بالشّيء	

يتّضح من خلال العودة لتفسير بعض كلمات هذا الحقل انفراد كلّ كلمة كان يُظنّ ترادفها مع أخريات بمعنًى إضافي غير موجود فيها، وآخر موجود فيها لكنّه مُنتفٍ في مرادفتها على ما قيل في تفسير السّجستاني مثل: كلمة ذريّة وما انضوى تحتها، وهو التّحليل التّكويني يبيّن ذلك:

ذرّية: أولاد وأولاد أولاد.

حفدة: خدما، أختانا، أصهارا، أعوانا، بنو الرّجل مَن نفعه منهم، بنو المرأة من زوجها الأوّل.

سفهاء: جُهّال، اليهود، الضّعيف الأحمق، النّساء، الصّبيان.

وِلدان: صبيان.

والتّحليل ذاته يبيّن علاقة التضمّن بين هذه الكلمات، كما أنّ اختلاف تفسيرها انطلاقا من العلاقة ذاتها يولّد المعنى، فالمتوصّل إلى معرفة أيّ الكلمات أعمّ من الأخرى وأيّها أكبر مساحة واصل كذلك إلى تلقُّف المعاني المتباينة إضافة إلى المعنى المشترك، وبالتّالي تكون قد أسهمت علاقة التضمّن بهذه الطّريقة في الوصول إلى المعنى والتّمكّن من توظيفه السّليم.

وأمّا مفردتي «خُلّة، وخليل» فهنالك اختلاف وإن كان طفيفا بينهما انطلاقا من التّفسير المنقول حرفه عن السّجستاني: "خُلّة: أي مودّة وصداقة متناهية في الإخلاص" [1] و "خليل: أي صديق: وهو فعيل من الخلّة، وهي الصّداقة والمودّة " [2] الأمر الّذي يدحض صحّة القول بأنّهما كلمتين مترادفتين؛ ففي الأولى زيادة معنى تحيل لعلاقة التضمّن بينهما، وقد أسهمت الأخيرة في الاهتداء إلى المعنى الدّقيق للكلمتين.

حقل النّبات						
الباب	الكلمة الغريبة	تفسيرها	الصّفحة	الكلمة الضّامنة	التّضمينات	الصّفحة
الألف المضمومة	أُكله	ثمره	28	أُكله	ثُمر جنى جنيّا طلح	65 70 79 135
الخاء المفتوحة	خَبْء	وخبء الأرض النّبات	67	خبء	حرث حطاما زهرة ضريع ضغث عصف قِطمير	75 80 105 132 133 143 165

(1) أبو بكر السّجستاني، غريب القرآن(نزهة القلوب)، ص87.

(2) المصدر نفسه، ص84.

					مخضود هشيم	183 214
الغين المضمومة	غُلبا	غِلاظ الأعناق: يعني النّخل...	151	غُلبا	أكمامها أعجاز صنوان قنوان	21 24 131 165
الفاء المضمومة	فُوم	الحِنطة والخبز أيضا... ويقال: الفوم: الحبوب، ويقال: الفوم: الثّوم.	156	فوم	الحنطة الخبز الحبوب الثّوم	
الفاء المكسورة	الفِردوس	أي البستان بلسان الرّوم.	157	فردوس	الأيكة أثل ألفافا الزيتون خمط سَلَم شجرة الخلد اليقطين	18 19 25 65 86 108 121 226

تتّسع مساحات بعض الألفاظ لتشمل مفردات عديدة؛ فتكون أحيانا مثيلات لها في مكوِّنات، وبعيدة عنها في أخرى، في حين تكون أحيانا أخرى من أجزائها... فأمّا الكلمات المُنضويّة تحت حقل النّبات فتشهد الحالات المذكورة وغيرها، وهو المُستنتج من القيام برسم دوائر تحوي الواحدة منها مجموعة كلمات بينها تقارب واضح يجعل المُتفحِّص لها يلحظ الكلمة الغريبة عن المجموعة، كما يمكنه إضافة أخريات ليست بمنأى عن الحقل وإنّما هي مبثوثة تحت جناح إحدى مفرداته، والشّيء ذاته يجري مع العناصر الآتية: ضريع، قطٌّ، الحرث، هشيم، ضِغث، حُطاما، نمر، عصف، مخضود، طير، زهرة، قطمير، بطّة، فالظّاهر أنّ هناك بعضاً من الدّوالِّ الغريبة عن حقل النّبات وبالتّالي تعدّ دخيلة عنه، ويجب عدم درجها في دائرته كما يمكن ضمّ أخر دوالٍّ لم تُذكر غير أنّها من الحقل عينه.

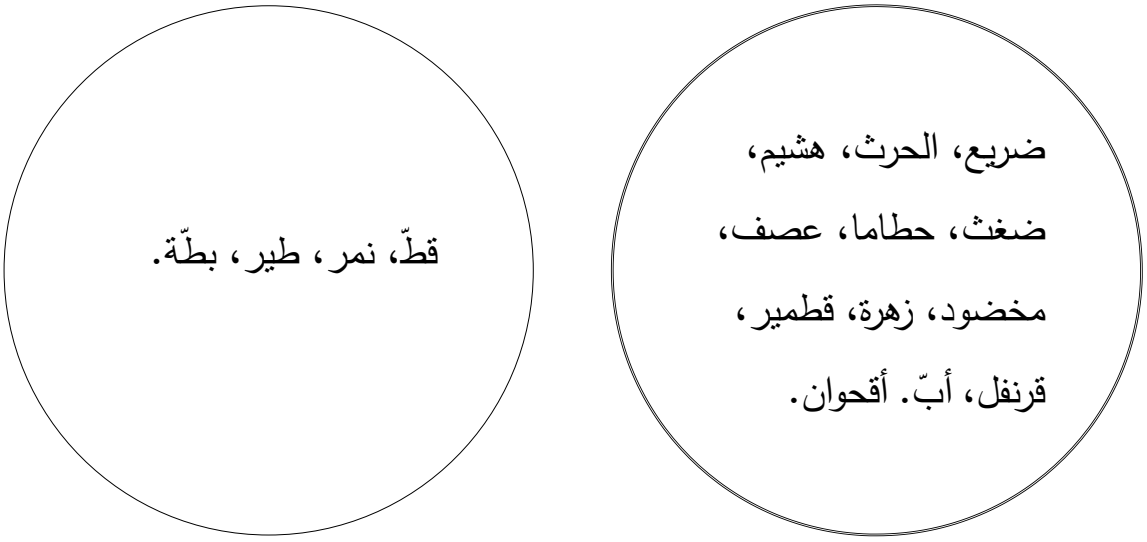

وهو تحليل يكشف عن الدّور الفعّال للتضمّن: في الحكم عن أيّ الكلمات تندرج ضمن هذا الحقل دون غيره؛ أي إنّها دخيلة عنه وغريبة، وربّما لها حيّز في غير هذا الحقل، والّذي لا يُستطاع أخذ احدى مفرداته وضمّها إلى الحقل الأوّل.

حقل الطّبيعة وظواهرها						
الباب	الكلمة الغريبة	تفسيرها	الصّفحة	الكلمة الضّامنة	التّضمينات	الصّفحة
الحاء المضمومة	الحُبُك	الطّرائق الّتي تكون في السّماء من آثار الغيم ... والحُبُك ايضا: الطّرائق الّتي تراها في الماء القائم إذا ضربته الرِّيح، وكذلك حبك الرّمل: الطّرائق الّتي تراها فيه إذا هبّت عليه الرّيح ...	71	الحُبُك	أخدود جُدد فُطُور فُرُوج الطّرائق	31 71 157 157
الخاء المفتوحة	الخبء	...ويقال خبء السّماوات المطر ...	86	الخبء	صيِّب ودق مطر	124 210

السّين المفتوحة	سبع طرائق	أي سبع سموات ...	111	سبع طرائق	الخنّس الكنّس السّقف المرفوع عِلّيين شِهاب النّازعات النّاشطات السّابحات السّابقات الطّارق فَلَك	88 88 112 118 123 128 128 128 128 136 154
الطّاء المضمومة	طوفان	أي سيل عظيم ...	136	طوفان	سيل عظيم	
القاف المفتوحة	قاصفا من الرّيح	يعني ريحا شديدة	159	قاصفا من الرّيح	إعصار حاصب حرور ريحا شديدة	33 77 79

	قاعا صفصفا	مُستوى من الأرض...	160	قاعا صفصفا	أحقاف ثرى قتَرة نقعا	21 66 159 204
المعنى المقترح	معين	أي ماء ظاهر جار	99	معين	تسنيم سرَبا الكوثر اليمّ ينابيع	61 110 167 220 227
المعنى المضمون	المُزْن	السّحاب	194	المُزْن	ظُلل عارض غمام المعصرات	138 143 148 195

إنّ «قاعا صفصفا» وهي احدى مفردات جدول الطّبيعة وظواهرها نصّ لها السّجستاني معنى مختلفا عمّا نصّه للمفردات التّالية: «الثّرى، أحقاف، قترة، نقعا»، فقد قال إنّها: "مستوى من الأرض... " . [1] ممّا يُبيّن أنّها ضامنة عامّة للكلمات السّابقة أخذا بتفسيراتهم:

الأحقاف: هي الرّمال المُشرفة المُعوجَّة، والثّرى: هو التّراب النّدي، أمّا النّقع والقترة: فهما الغبار [2] وعليه فإنّ وقوع تلك الكلمات تحت كلمة واحدة عامّة إنّما هو إعلان بأنّ مجال تلك الكلمة أوسع من مجال الأخريات، والتّضمّن في هذه الحالة يساعد على معرفة أي الألفاظ أوسع

(1) أبو بكر السّجستاني، غريب القرآن(نزهة القلوب)، ص160.

(2) ينظر، المصدر نفسه، ص21_66_204_159.

دلالة بعد إدراك معاني كلّ واحدة منها ثمّ إنّه يمكّن للقول بأنّ تلك الألفاظ أجزاء ومكوّنات للّفظة العامّة وهو ما انطبق على اللّفظة السّابقة وما تلاها، كما سرى مفعوله في غالب ألفاظ هذا الحقل.

حقل العلم واللُّبس والمعدن والزّمن						
الباب	الكلمة الغريبة	تفسيرها	الصّفحة	الكلمة الضّامنة	التّضمينات	الصّفحة
الهمزة المفتوحة	أوحى	وأوحى إليها واحد: أي ألهمها، وفي التّفسير: أوحى لها أمرها.	27	أوحى	ألهم أمر	
الألف المفتوحة	الدّهر	مرور السّنين والأيّام	91	الدّهر	الآن آناء اللّيل أصيل أحقابا سنون العصر القُرء	13 16 17 26 117 144 163

التّاء المفتوحة	ربّانيون	كاملو العلم... إنّما قيل للفقهاء: الرّبّانيون... العرب تقول رجل ربّاني ورَبيّ، إذا كان عالما...	97	ربّانيون	كاملو العلم الفقهاء عالم أحبار الرّاسخون في العلم	6 96
	الرَّس	أي المعدن	99	الرَّس	أساور ترائب الزّخرف المرجان الورِق المعدن	16 61 106 182 209
الزّاي المكسورة	زِينة	ما يتزيّن به الإنسان من لِبس.	106	زِينة	أكنان دفء ريشا سرابيلهم سندس	15 93 102 109 116

أمّا خانات هذا الجدول فقد كانت مُتباعدة الحقول من علم، ولِبس، ومعدن، وزمن اعتباراً بتواجدهم الضّعيف بين صفحات كتاب السّجستاني (غريب القرآن) مقارنة بالحقول الأخرى، وهو الأمر الّذي دعا إلى هذا الدّمج، ونظرة فاحصة إلى أبواب الجدول تُرِي صاحبها تشكّل ظاهرة

التّضمّن كما يتّضح في مفردة الرّس الّتي تحوي(الزّخرف، الورِق، أساور ، ترائب، المرجان) وهذه معانيها:

" (الرّس): أي المعدن.... " [1]

" (الزّخرف): ...والزّخرف الذّهب.... " [2]

" (ورِقكم): أي فضّتكم " [3]

" (أساور):....جمع سِوار وسُوار وهو الّذي يُلبس في الذّراع، فإن كان من فضّة فهو قُلْب وجمعه قِلَبَة، وإن كان من قرون أو عاج فهو مَسَكَة وجمعها مَسَك " [4]

" (ترائب): جمع تَرِبة وهو مُعلّق الحلي على الصّدر " [5]

" (المرجان): صِغار اللّؤلؤ واحدتها مرجانة " [6]

فالظّاهر أنّ كلّ دالّ منها يعود على معدن ما، أو هو مصنوع منه وبالتّالي فقد تمثّل دور التّضمّن في هذه الحالة: في كشف المادّة الّتي صُنِعت منها تلك الأشياء أو هي نفسها: أي إنّ المُلمّ بمعاني تلك الكلمات يُدرك تماما بأنّها تندرج تحت كلمة الرّس وهذا هو الّدور الحقيقي للمعاجم.

(1) أبو بكر السّجستاني، غريب القرآن(نزهة القلوب)، ص99.

(2) المصدر نفسه، 106.

(3) المصدر نفسه، ص209.

(4) المصدر نفسه، ص16.

(5) المصدر نفسه، 61.

(6) المصدر نفسه، ص182.

حـــــقـــــــل الحيـــــــــــوان						
الباب	الكلمة الغريبة	تفسيرها	الصّفحة	اللّفظة الضّامنة	التّضمينات	الصفحة
الباء المفتوحة	بهيمة	كلّ ما كان من الحيوان غير ما يعقل.	41	بهيمة	بُدن ثعبان صافنات فَراش قُمّل النَّعَم	46 67 129 156 163 199
الباء المضمومة	بُدن	جمع بدنة، وهي ما جُعل في الأضحى للنّحر والنّذر وأشباه ذلك.	46	بُدن	بحيرة النَّعم	41 199
الصّاد المفتوحة	صافنات	جمع صافن من الخيل.	129	صافنات	الموريات العاديات المغيرات	196 128 196
العين المكسورة	عِشار	حوامل من الإبل.	148	عِشار	بحيرة	41

المعنى العام	قسورة	هو أسد	161	قسورة	أسد	
المعنى العام	مسخناهم	أي جعلناهم قردة وخنازير.	181	مَسْخ	قردة خنازير	
المعنى العام	النَّعَم	هو البقر والإبل والغنم، وجمع النّعم أنعام.	199	النَّعَم	البقر الإبل الغنم	

إنّ عالم الحيوان بُسِط برحابة في القرآن الكريم، وأمّا السّجستاني فقد قيّد في كتابه بعضا من الألفاظ الغريبة في هذا الحقل على نحو لفظتي «صافنات وعِشار» اللّتين تُمثّلان لعلاقة التّضمّن على أتمّ وجه؛ إذ إنّ أولاهما تحوي كلمات ليس لأحد القول عنها إنّها دخيلة فيها، غير أنّ القائل إنّ «موريات، مغيرات» هي صفات للخيل له في رأيه حظّ من الصّحّة غير قليل، بِعَدِّها نعوتا للخيل وليست مرادفات لها نظرا لتلك الفروق الكائنة بينها:

موريات: حيوان، يمشي، يعدو، عشبي، خيل، توقد النّار... "موريات: الخيل الّتي تُرى النّار بسنابكها إذا وقعت بالحجارة ".[1]

مغيرات: حيوان، يمشي، يعدو، عشبي، خيل، تُغِير باكرا... "مغيرات: من الغارة، وكانوا يغِيرون عند الصّبح ".[2]

(1) أبو بكر السّجستاني، غريب القرآن(نزهة القلوب)، ص196.

(2) االمصدر نفسه.

وخلاصة هذا التّحليل أنّ كلمة صافنات إنّما هي صفة لا أكثر للخيل كما هو عليه الحال مع لفظة مغيرات، فعلى الرّغم من اشتراكهما في كافّة المكوّنات إلّا أنّ هناك مكوِّنا يجعل من الظّاهرة تضمّنا.

أمّا الثّانية(عِشار) فيُلحَظ عليها الأمر ذاته، حيث إنّها و(بحيرة) صفتان للإبل تحملان المكوّنات عينها عدا تميُّز كلّ منهما بصفة مغايرة، بأنّ العشار هي "حوامل من الإبل"[1]، وبحيرة هي "النّاقة إذا نتجت خمسة أبطن".[2]

وممّا سبق ذكره يتجلّى دور التضمّن باعتباره كاشفا ومبِينا عن مختلف المعاني لمختلف الكلمات الّتي خِيلت مترادفة، وموضّحا لتلك الفروق الواقعة بينها، وعليه فقد أخرجها من دائرة التّرادف إلى دائرة أخرى تجعل من إحداها ضامنة والأخرى تضمينة.

(1) المصدر السّابق، ص148.

(2) المصدر نفسه، ص147.

حقـــــــل الإنـــــســـــــان						
الباب	الكلمة الغريبة	تفسيرها	الصّفحة	اللّفظة الضّامنة	التّضمينات	الصّفحة
الهمزة المفتوحة	أناسيّ	...ويجوز أن يكون أناسيّ جمع إنسان.	17	أناسيّ	ألباب الأذقان الحِجْر حبل الوريد حناجر شَوى فاقرة نُهى الوتين	6 19 73 79 79 121 155 206 211
الهمزة المفتوحة	الأنام	الخلق	24	الأنام	أناسيّ بريّة خلائف الأرض الشّفع الخلق	17 45 58 122

الألف المضمومة	أمّة	جماعة... وأمّة: أتباع الأنبياء...	28	أمّة	رِبّيون شعوب قبائل شِرذمة شِيَعا	102 122 122 123 123
الشّين المضمومة	شُعوبا	الشّعوب: أعظم من القبائل، واحدها شعب(بفتح الشّين)، ثمّ القبائل واحدها قبيلة...	122	شعوبا	القبائل العمائر البطون الأفخاذ الفصائل العشائر	
اللام المكسورة	لِبَدا	أي جماعات.	173	لِبدا	أشتاتا أبابيل ثُبات رِبّيون شِرذِمة شِيَعا عُصبة	17 27 67 102 123 123 145

155 204	فوج نَفَر					

باعتبار القرآن نزل مخاطبا أولي الألباب، فلا ريب ولا شكّ من ورود عديد الألفاظ في هذا النصّ العظيم الدّالّة على الإنسان وأجزائه، وما تعلّق بمراحل عمره، وما تَكوَّن من بني البشر بقرابة كانت أو دونها، وها هو ذا السّجستاني اقتصر على جمع الغريب منها موضّحا فروقا عدّة بينها بعدما ظنّها الكثير من المترادفات، ولكن بنظرة فاحصة لدقائق معانيها يتبيّن أنّ بينها علاقة أخرى غير التّرادف، ولربّما كانت الاشتمال، أو العموم والخصوص، ونذكر من بين تلك الكلمات الغريبة لفظتي «شعوب وقبائل»، فالأولى ضامنة للثّانية؛ إذ إنّ "الشّعوب أعظم من القبائل...ثمّ القبائل...ثمّ العمائر...ثمّ البطون...ثمّ الأفخاذ...ثمّ الفصائل...ثمّ العشائر... ".[1]

فمن خلال التّدريج السّابق لتلك الألفاظ تتّضح العلاقة فيما بينها؛ إذ إنّ كلّ مفردة منها تحتوي الأخرى وتتضمّنها.

أمّا مفردة «لِبَدا» فهي ضامنة بدورها لألفاظ أُخر على غرار «أبابيل، شرذمة، عصبة، نفر»؛ حيث إنّ النّاظر للوهلة الأولى يحسبها ذات دلالة واحدة، إلّا أنّها متباينة حسب تفسير السّجستاني:

أبابيل: يقصد بها جماعات في تفرقة.

وشرذمة: يراد بها طائفة قليلة.

أمّا عصبة: فتشير إلى جماعة من العشرة إلى الأربعين.

بينما نَفر: تشير إلى جماعة ما بين الثلاثة إلى العشرة.[2]

(1) أبو بكر السّجستاني، غريب القرآن(نزهة القلوب)، ص122.

(2) ينظر، المصدر نفسه، ص27_123_145_204.

فكلّ لفظة من الألفاظ السّابقة لها دلالة تختصّ بها، ومعنى يميّزها عن الأخرى، والتضمّن ذاك هو المحدِّد للسّياق الّذي تتموضع فيه المفردة الواحدة دون غيرها، عبر تبيان مساحاتها المتّسعة منها والضيِّقة.

حقل الجمادات						
الباب	الكلمة الغريبة	تفسيرها	الصّفحة	اللّفظة الضّامنة	التّضمينات	الصّفحة
الهمزة المفتوحة	أثاث	متاع البيت، واحدها أثاثة.	15	أثاث	أرائك أكواب دُسُر السِّقاية فِراشا مقاليد مِهادا مصباح نمارق	16 21 92 118 157 181 196 197 204
	أجداث	قبور، واحدها جَدَث.	20	أجداث	أقبره برزخ	26 44
	أصنام	جمع صَنَم، والصّنم ما كان مصوّرا من حجر أو صُفر أو نحو ذلك.	14	أصنام	أوثان اللّات العُزّى مناة بَعل	16 23 23 23 42

					الرِّجز	102
					طاغوت	133
					عِجلا جسدا	147
					نُصْب	205
					وُدّا	211
					سُواعا	211
					يَغوث	211
					يَعوق	211
					نَسرا	211
التاء المفتوحة	البلد الأمين	...يعني مكّة...	45	البلد الأمين	أمّ القرى	30
					بَكّة	31
					البيت العتيق	44
					البيت المعمور	45
التاء المضمومة	بُنيان مرصوص	أي لاصق بعضه ببعض لا يغادر شيء منه شيئا.	46	بنيان مرصوص	الأعراف	11
					بروج مشيّدة	46
					جدار	72
					صرح	127

					صياصيهم	127
					عروشها	145
					غُرُفات	151
					القواعد من البيت	158
					القصر	161
					مَشِيد	180
					مصانع	180
					المحراب	196
الرّاء المفتوحة	الرَّسّ	أي المعدن.	99	الرّسّ	أصفاد	14
					أنكال	25
					سابغات	122
					لَبوس	171
	رواسي	أي ثوابت: يعني جبالا.	98	رواسي	التّين والزّيتون	65
					الأعلام	69
					الجودي	70
					السُّدّيْن	110
					الطَّوْد	135
					طور	136
السّين المكسورة	سِجِّيل	وسَجيل: الشّديد الصّلب من الحجارة والطّين.	117	سِجِّيل	حاصِب	76
					حنيذ	76
					صفوان	126

القاف المكسورة	قِطَع متجاورات	أي قرى متقاربات.	165	قِطَع متجاورات	إرَم الحِجْر رَبْوة سبأ القريتين قِطَع متجاورات مَدين يَثْرِب	39 83 99 111 161 165 177 226
الميم المفتوحة	مغارات	ما يغورون فيه، أي يغيبون فيه.	177	مغارات	صياصيهم كهف	127 166

تغيُّر المباني يؤدّي بالضّرورة إلى تغيّر المعاني حقيقة ليس لأحد إنكارها وجحد صحّتها، وهذا ما ترجمته بامتياز لفظتي «الأوثان والأصنام» فتفسير السّجستاني للأخيرة منهما يؤكّد ذلك: "جمع صنم، والصّنم ما كان مصوَّرا من حجر أو صُفر أو نحو ذلك، والوثن ما كان من غير صورة" [1]، فأمّا القول بترادفهما فهو بمنأى عن الصّحّة كبير إذ يُعدّ هذا الاعتبار فقدانا للحسّ اللّغويّ وليس من الفنّ الأدبيّ في شيء. وإن أسهم التّرادف في رصف ثروة لغويّة هائلة إلّا أنّ مثل تلك التّضخّمات الحاصلة في اللّغة تصعِّب مهمّة نقل المعاني إلى اللّغات وبالتّالي تصعّب التّرجمة ممّا قد ينجم عنه اختلاط في المعاني أو ضياعها من نحو كلمتي «الطّود، والرّواسي» فكلتيهما تعنِيان الجبل: "الطّود: الجبل، رواسي: أي ثوابت: يعني جبال" [2]، والأحرى القول

(1) أبو بكر السّجستاني، غريب القرآن(نزهة القلوب)، ص14.

(2) المصدر نفسه، ص135_98.

بأنّهما تضمينتان لضامنة أعمّ هي «الجبل»، وتعليله أنّ الجبل هي الكلمة المشهورة المُطلَقة على هذا الجماد، أمّا الطّود وإن كان لها المعنى نفسه من غير فرق إلّا أنّها قليلة الشّهرة وليس الكلّ على علم بها، أمّا الرّواسي فهي الثّابت من الجبال.

والتّعليل عينه ينطبق على مفردة «أثاث» الّتي جُعلَت في الجدول أعلاه ضامنة عليا لتضمينات انضوت تحتها، باعتبارها كلمة حاوية لعديد الجمادات من هذا النّوع.

وبعد فالجدير بالذّكر أن يكون التضمّن ذا شأن عظيم، كونه أدّى دورا كبيرا في توضيح معاني المفردات المتباينة وتبيان مساحاتها ومدى اتّساعها لاحتمال مجيء ألفاظ أُخر تحتها، أو ضيقها لتنضوي اللّفظة الضّامنة ذاتها في مساحة أعمّ منها دلالة، وهذه العلاقة غاية في الأهميّة؛ إذ أنّها رابط قويّ ومتين بين الوحدات اللّغويّة.

خلاصة:

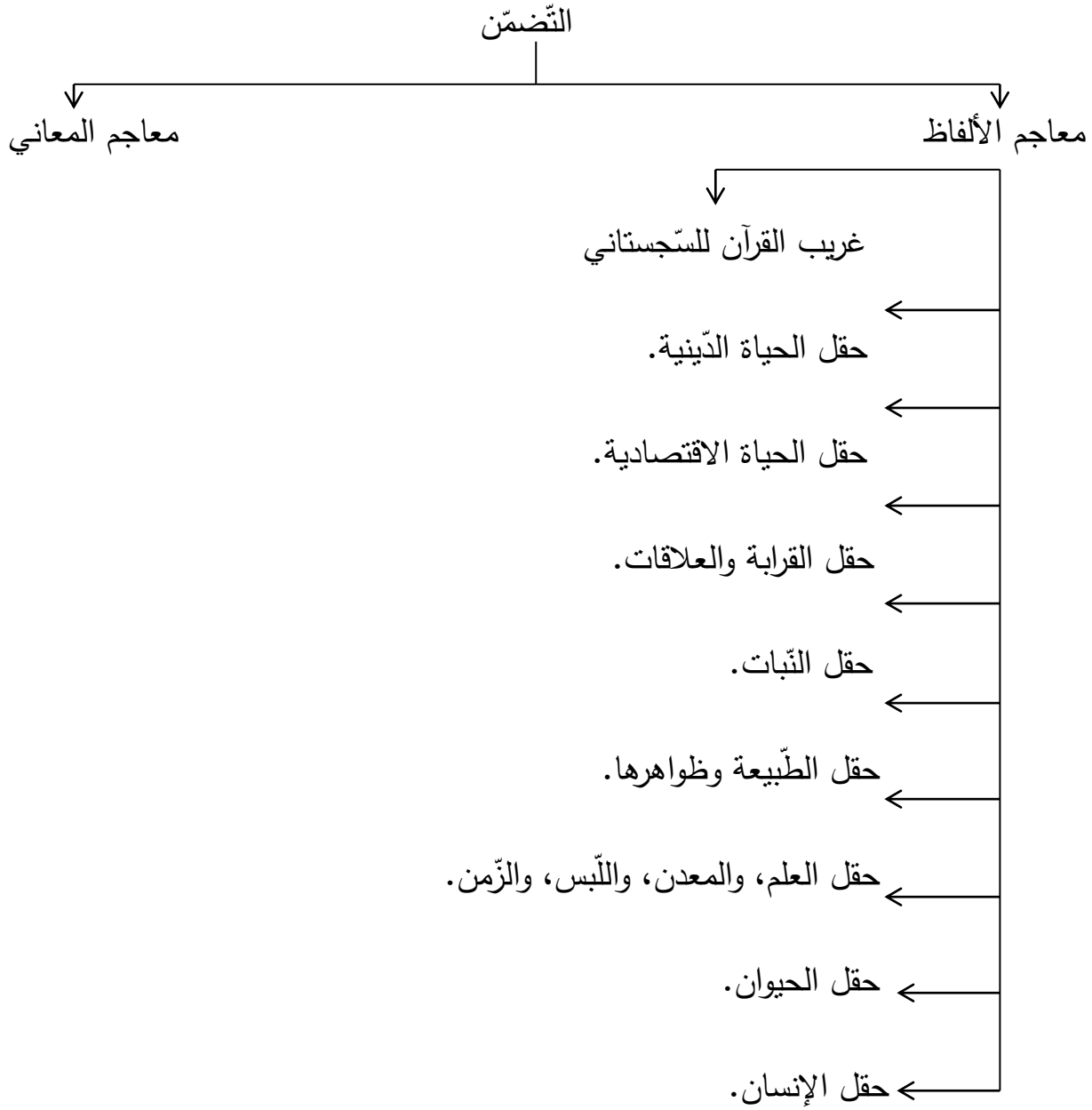

وحوصلة الجانب التّطبيقي الّذي جاء على شكل جداول إحصائيّة لعلاقة التّضمّن _في معجم غريب القرآن للسّجستاني_ تُحيل إلى أصالة الظّاهرة عند المعجميّين العرب، وإن لم يُصرِّحوا بها اسما، إلّا أنّهم تطرّقوا لها وذلك من خلال تضمين معاجمهم بكلمات غالب القول عنها إنّها مترادفات، بينما حقيقة الأمر غير ذلك وهذا ما يتّضح جليّا بذكر هؤلاء المعجميّين للمرادفات مع

تحسُّسهم لتلك الفروق الفاصلة بينها البيِّنة منها والمستترة، وهذا ما يحيل أيضا إلى تواجدها (الكلمات) في إطار أو مساحة أو منطقة أو حيِّز أو حقل واحد، والقصد انضواؤها تحت مجال واحد لا تُعَدّ الواحدة منها مرادفة للأخرى، ولا دخيلة عن المجال؛ أي إنّ الظّاهرة تضمّن، وهذا هو الظّاهر من خلال المعاني المتباينة عموما، المتماثلة في احدى الخواص الّتي حملها كتاب السّجستاني، وكان إحصاؤها في الجداول السّابقة، والجدير بالذّكر أنّها علاقة دلاليّة ساهمت في رصد المعاني الدّقيقة والكشف عنها ولا زالت، وبالتّالي حدّدت الاستعمالات الممكنة لكلّ كلمة انطلاقا من السّياق الواردة فيه، أي أنّ دورها في الكشف عن المعنى كبير.

خاتمة

ووصولا لمشارف إغلاق هذه الرّحلة النّاظرة في ظاهرة التّضمّن، والّتي لا تزال أبوابها تنتظر ولوج الدّارسين لنقاطها العريضة، المتعطّشين لريّ ألبابهم من يمّ الدّلالة الّتي تمّ اغتراف هذا البحث من مَعينها، وبعد... فقد أفْضَت الدّراسة إلى جملة من النّتائج الّتي نسوقها على سبيل الختم لا على سبيل الحسم:

– تُعَدّ علاقة التّضمّن من أهمّ العلاقات الدّلاليّة الّتي يتوقّف إدراك معنى الكلمة على معرفتها.

– يتطلّب الوصول إلى إدراك الفرق بين الكثير من المفردات المتقاربة الدّلالة في كتاب الله معرفة اختصاص كلّ لفظ، وحدوده، ومساحة معناه، وعلاقته بغيره.

– أسهمت علاقة التّضمّن في الكشف عمّا للمفردة القرآنية من قيمة كبيرة في حقل الدّراسة اللّسانية عامّة، والدّلاليّة خاصّة.

_ التّضمّن من الجوانب الدّلاليّة الّتي تَوجَّه لها علماء الإسلام بالدّراسة مبكّرا، وهو ما يُنْبِئ عن أصالة هذا العلم عندهم، ولاسيما عند المفسّرين وعلماء الغريب القرآني على غرار السّجستاني صاحب نزهة القلوب.

– علم الدّلالة وإن كان غربيّ الأصول والتّربة والمصطلحات والمنهج، إلّا أنّ ذلك لا يعني غيابا كلّيّا لمسائله وقضاياه في التّراث العربيّ.

– إنّ مَبعَث علاقة التّضمّن نجم عن إنكار علاقة التّرادف قديما وحديثا.

– كانت الجهود الدّلاليّة لعلماء العرب مبكِّرة، خاصّة المعجميّين منهم الّذين بثّوا في مصنّفاتهم العلاقات الدّلاليّة، وكان للتّضمّن نصيبا منه.

– إنّ التضمّن ظاهرة ضاربة بجذورها في أعماق الزّمن، ولازالت تشهد الثّبات والنموّ.

– عُرف التضمّن بتسميات عديدة من قبيل الاشتمال، العموم والخصوص، الاحتواء...

– أسهمت النّظريّات الدّلاليّة في الكشف عن التّضمّن وخاصّة النّظريّة السّياقية، ونظريّة الحقول الدّلاليّة، ونظريّة التّحليل التّكويني.

– إنّ الاحتكام إلى الفروق الدّلاليّة هو الفيصل بين علاقتي التّرادف والتّضمّن.

– يُحصَّل التضمّن في نواح ثلاث: فمنه ما تعلّق بأقسام الدّلالة، ومنه ما تعلّق بأقسام الكلم(النّحو)، ومنه ما تجسّد في شكل علاقة دلاليّة، وكان الأخير محور هذا البحث.

وفي الأخير نسأل الله العليّ القدير أن نكون قد وُفِّقنا فيما تطرّقنا إليه، وأن تنجَرّ منه منفعة لطارقيه، فاللهمّ اجعل عملنا هذا في ميزان حسناتنا، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

ملخّص

ملخّص:

وحوصلة لما مررنا به في بحثنا هذا، المنصبّ حول أحد أهمّ علوم العربيّة، ألا وهو علم الدّلالة أو علم المعنى، هذا العلم الغزير اليمّ، الوفير الدّرر ممّا يحول دون الإحاطة الشّاملة به، لذلك تمّ الاقتصار على احدى علاقاته، وهي ذات صلة كبرى بفكرة المعنى، والمعروفة بعلاقة التضمّن، فكان عنوان الدّراسة: علاقة التضمّن عند المعجميّين ودورها في الكشف عن المعنى.

وقد انبنت الدّراسة تلك على جمع مختلف آراء وأقوال علماء الدّلالة حول موضوع التضمّن باعتباره وسيلة وآلية موضّحة للمعاني، ومجلِّية لتلك الفروق البسيطة الدّقيقة الكائنة بين المفردات، وبالتّالي فهي تُمكّن من تحديد الموضع السّليم للّفظة ضمن سياق معيّن دون غيرها من بين الألفاظ الأخَر.

ولأنّ مؤلَّف «غريب القرآن» معجم جمع بين دفّتيه مفردات غريب القرآن، فقد اخترناه في تطبيقنا، كون المعاجم برزت أصلا بغية تفسير الغريب من القرآن واللّغة، معتمدتين خطّة مكوّنة من فصلين نظري وتطبيقي مسبوقين بفصل تمهيدي تلا المقدّمة.

وقد عرضنا في الفصل التّمهيدي إلى مفهوم المعاجم وأنواعها وما تعلّق بها، ثمّ عمدنا بعد ذلك إلى مصطلح الدّلالة وما أفاده من معان، لنختمه بإطلالة على علم الدّلالة وموضوعاته ونظريّاته ذات الصّلة بعنوان بحثنا.

أمّا الفصل الأوّل من المذكّرة فتناولنا من خلاله بعض العلاقات الدّلاليّة بشيء من التّفصيل والتّوضيح، راميتين الوصول إلى العلاقة الأساس في البحث وهي علاقة التضمّن، وخاتم الفصول جاء في شكل جداول إحصائية لبعض الحقول الدّلاليّة المكتنَفة تحتها ألفاظٌ متقاربة المعنى، وأُعقبت تلك الجداول بتحليلات وتعليقات مع بعض تفسيرات من مصنَّف السّجستاني.

وفي الأخير كانت الخاتمة، حاوية لجملة النّتائج المتوصَّل إليها من هذه الدّراسة.

Abstract :

As a result of this research, the position on one of the most important sciences of Arabic, the science of significance or the science of meaning, this science is abundant, the bivalderramma prevents the comprehensive comprehension of it, so it was limited to one of his relations, and is related to the great idea of meaning, In the context of inclusion, the title of the study was: the relationship of inclusion in lexicons and their role in revealing meaning.

This study is based on the collection of various opinions and statements of the semantics on the subject of inclusion as a means and mechanism of the meanings of the meanings of the meanings of these simple differences between the vocabulary, and thus enables to determine the proper position of the word in a particular context without the other words.

Because the author of «strange Koran» a collection between the words of the strange vocabulary of the Koran, we chose in our application, the fact that the dictionaries originally emerged in order to interpret the stranger from the Koran and language, supported a plan consisting of two theoretical and applied chapters preceded by a preliminary chapter read the introduction.

We have presented in the introductory chapter to the concept of dictionaries and their types and related to them, and then we have then to the term meaning and the meanings of the meanings, to conclude with a view on the science of significance and its themes and theories related to the title of our research.

The first chapter of the note deals with some of the semantic relationships in some detail and clarification. They reach the basic relationship in the research, which is the relationship of inclusion, and the chapter of the chapters came in the form of statistical tables for some of the semantic fields under which there are similar words. Explanations from al-Sijistani's work. Finally, the conclusion was a container for the results obtained through this study.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر والمراجع:

_ القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

1_ إبراهيم أنيس، في اللّهجات العربيّة، مكتبة الأنجلو المصريّة، القاهرة، د ط، د ت.

2_ ابن منظور، لسان العرب، د ط، د ت، ج18.

3_ أبو البركات الأنباري، نزهة الألبّاء، تح: إبراهيم السّامرّائي، مكتبة المنار، الأردن، الزّرقاء، ط3، 1405ه/1985م.

4_ أبو الحسن الكُراع، المنجد في اللّغة(أقدم معجم شامل للمشترك اللّفظي)، تح: أحمد مختار عمر، ضاحي عبد الباقي، عالم الكتب، القاهرة، ط2، 1988م.

_ أبو الحسن المرسي:

5_ المحكم والمحيط الأعظم، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط1، د ت، ج9.

6_ المخصّص، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط3، د ت، سِفر13.

7_ أبو الطيّب اللّغوي، كتاب الأضداد في كلام العرب، تح: عزة حسن، دار طلاس، دمشق، ط2، 1996م.

8_ أبو بكر السّجستاني، غريب القرآن(نزهة القلوب)، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده، د ط، 1382ه/1963م.

9_ أبو بكر السّيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تح: مركز الدّراسات القرآنية، د ط، د ت، ج3.

10_ أبو عبيد القاسم، الغريب المصنّف، تح: محمّد المختار العبيدي، دار مصر، القاهرة، ط2، 1416ه/1996م، ج1.

11_ أبو هلال العسكري، الفروق اللّغويّة، تح: محمّد إبراهيم سليم، دار العلم والثّقافة، القاهرة، د ط، د ت.

12_ أحمد الباتلي، المعاجم اللّغويّة(وطرق ترتيبها)، دار الرّاية، الرياض، ط1، 1412ه/1992م.

_ أحمد بن فارس:

13_ الصّاحبي(في فقه اللّغة العربيّة ومسائلها وسنن العرب في كلامها)، تح: عمر فاروق الطّبّاع، دار المعارف، بيروت، ط1، 1414ه/1993م.

14_ معجم مقاييس اللّغة، تح: عبد السّلام محمّد هارون، دار الفكر، د ط، 1399ه/1979م، ج2، ج4.

15_ أحمد الشّرقاوي إقبال، معجم المعاجم، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2.

16_ أحمد اللّبابيدي، معجم أسماء الأشياء(اللّطائف في اللّغة)، تح: أحمد عبد التوّاب عوض، دار الفضيلة، القاهرة، د ط، د ت.

17_ أحمد بن تيمية، مجموع الفتاوى، تح: عبد الرّحمان بن محمّد بن قاسم ،ابنه محمّد، مجمع الملك فهد، المدينة المنوّرة، د ط، 1425ه/2004م، ج13.

18_ أحمد عبد الغفور عطّار، مقدّمة الصّحاح، دار العلم، بيروت، لبنان، ط3، 140ه/1984م.

19_ أحمد عزّوز، أصول تراثية في نظريّة الحقول الدّلاليّة، د ط، د ت.

20_ أحمد محمّد قدّور، مبادئ في اللّسانيات، دار الفكر، دمشق، ط3، 1429ه/2008م.

21_ أحمد مختار عمر، علم الدّلالة، عالم الكتب، القاهرة، ط5، 1998م.

22_ أحمد مومن، اللّسانيات النّشأة والتطوّر، ديوان المطبوعات الجامعيّة، بن عكنون، الجزائر، ط2، د ت.

23_ أف. آر. بالمر، علم الدّلالة، تر: مجيد الماشطة، دار العمّال المركزيّة، بغداد، د ط، د ت.

24_ أيّوب بن موسى الكفوي، الكليات(معجم في المصطلحات والفروق اللّغويّة)، تح: عدنان درويش، محمّد المصري، مؤسّسة الرّسالة، د ت.

25_ بشر بن أبي خازم الأسدي، ديوان بشر بن أبي خازم، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1415ه/1994م.

26_ توفيق محمّد شاهين، المشترك اللّغوي(نظريّة وتطبيقا)، مطبعة الدّعوة الإسلاميّة، القاهرة، ط1، 1400ه/1980م.

27_ جلال الدّين السّيوطي ، المزهر(في علوم اللّغة وأنواعها)، تح: محمّد أحمد جاد المولى بك، علي محمّد البجاوي، محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار المكتبة العصريّة، صيدا، بيروت، د ط، 1406ه/1986م، ج1.

28_ جون لاينز، علم الدّلالة، تر: مجيد الماشطة، حليم فالح، كاظم باقر، دار الآداب، البصرة، د ط، 1980م.

29_ حاكم مالك لعيبي، التّرادف في اللّغة، دار الحريّة، بغداد، د ط، 1400ه/1980م.

30_ حسن تمّام، اللّغة العربيّة(معناها ومبناها)، دار الثقافة، الدّار البيضاء، المغرب، د ط، 1994.

31_ حسين نصّار، معاجم على الموضوعات، الكويت، د ط، 1405ه/1985م.

32_ الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تح: مهدي المخزومي، إبراهيم السّامرّائي، دار الهلال، د ط، د ت، ج1، ج8.

33_ خير الدّين الزّركلي، الأعلام(قاموس تراجم)، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط15، 2002م، ج6.

34_ ديزيرة سقال، نشأة المعاجم العربيّة وتطوّرها(معاجم المعاني_ معاجم الألفاظ)، دار الصّداقة العربيّة، بيروت، لبنان، ط1، 1995م.

35_ الرّاغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، تح: صفوان عدنان داودي، دار القلم، دمشق، ط4، 1430ه/2009م.

36_ رمضان عبد التواب، فصول في فقه اللّغة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط6، 1420ه/1999م.

37_ ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللّغة، تر: كمال بشر، مكتبة الشّباب، د ط، د ت.

38_ الشّريف الجرجاني، معجم التّعريفات، تح: محمّد صدّيق المنشاوي، دار الفضيلة، د ط، د ت.

39_ شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي(العصر الجاهلي)، دار المعارف، القاهرة، ط1، د ت.

40_ صبحي الصّالح ، دراسات في فقه اللّغة، دار العلم للملايين، بيروت، ط6، 2004م.

41_ صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النصّ، عالم المعرفة، الكويت، د ط، د ت.

42_ عبد الجليل منقور، علم الدّلالة(أصوله ومباحثه في التّراث العربي)، د ط، د ت.

43_ عبد العال سالم مكرم، المشترك اللّفظي(في الحقل القرآني)، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، ط1، 1417ه/1996م.

44_ عبد الغفّار حامد هلال، علم الدّلالة اللّغويّة، د ط، د ت.

45_ عبد الكريم جبل، في علم الدّلالة(دراسة تطبيقية في شرح الأنباري للمفضّليات)، دار المعرفة الجامعيّة، د ط، د ت.

46_ عبد الله العلايلي، مقدّمة لدرس لغة العرب(وكيف نضع المعجم الجديد)، الفجالة، مصر، د ط، د ت.

_ عثمان بن جنّي:

47_ الخصائص، تح: محمّد علي النجّار، دار الكتب المصرية، د ط، د ت، ج3.

48_ سرّ صناعة الإعراب، تح: حسن هنداوي، د ط، د ت، ج1.

49_ عدنان الخطيب، المعجم العربي(بين الماضي والحاضر)، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، ط2، 1414ه/1994م.

50_ علي عبد الواحد وافي، فقه اللّغة، نهضة مصر، ط3، 2004م.

51_ عمرو بن عثمان سيبويه، الكتاب، تح: عبد السّلام محمّد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1408ه/1988م، ج1، ج3.

_ غازي مختار طليمات:

52_ في علم اللّغة، دار طلاس، دمشق، ط2، 2000م.

53_ نظرات في علم دلالة الألفاظ(عند أحمد بن فارس اللّغوي)، كليّة الدّراسات الإسلاميّة والعربيّة، دبي، 1410ه/1990م.

54_ فايز الدّاية، علم الدّلالة العربيّة(النظرية والتّطبيق)، دار الفكر، دمشق، د ط، 1996.

55_ فتح اللّه أحمد سليمان، مدخل إلى علم الدّلالة، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 1412ه/1991م.

56_ كلود جرمان، ريمون لوبلون، علم الدّلالة، تر: نور الهدى لوشن، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ط1، 1997م.

57_ مجمّع اللّغة العربيّة، المعجم الوسيط، مكتبة الشّروق الدّوليّة، مصر، ط4، 1425ه/2004م، ج1.

58_ مجيد ماشطة، من علم المعاني إلى علم الدّلالة، دار المحبّة، دمشق، د ط، 2009م/1429ه.

59_ محمّد الزّبيدي، تاج العروس(من جواهر القاموس)، تح: محمود محمد الطناحي، د ط، د ت، ج28.

60_ محمّد المنجّد، التّرادف في القرآن الكريم(بين النظرية والتّطبيق)، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ط1، 1417ه/1997م.

61_ محمّد بن القاسم الأنباري، كتاب الأضداد، تح: محمّد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصريّة، صيدا، بيروت، د ط، 1407ه/1987م.

62_ محمّد بن لطفي الصّبّاغ ، لمحات في علوم القرآن(واتّجاهات التّفسير)، المكتب الإسلامي، بيروت، ط3، 1410ه/1990م.

63_ محمّد حسين علي الصّغير ، تطوّر البحث الدّلالي(دراسة تطبيقيّة في القرآن الكريم)، دار المؤرّخ العربي، بيروت، لبنان، د ط، د ت.

64_ محمّد علي الخولي، علم الدّلالة(علم المعنى)، دار الفلاح، الأردن، عمان، د ط، 2001م.

65_ محمّد محمّد داود، معجم الفروق الدّلالية في القرآن(لبيان الملامح الفارقة بين الألفاظ متقاربة المعنى، والصّيغ والأساليب المتشابهة)، دار غريب، القاهرة، د ط، د ت.

66_ محمّد محمّد يونس علي، المعنى وظلال المعنى(أنظمة الدّلالة في العربيّة)، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 2007م.

67_ محمود السّعران، علم اللّغة(مقدّمة للقارئ العربي)، دار النّهضة العربيّة، بيروت، د ط، د ت.

68_ محمود فهمي حجازي، مدخل إلى علم اللّغة، دار قباء، القاهرة، د ط، د ت.

69_ هادي نهر، علم الدّلالة التّطبيقي(في التّراث العربي)، دار الأمل، إربد، الأردن، ط1، 1427هـ/2007م.

الرّسائل الجامعيّة:

1_ حسين قاضي، دراسة دلاليّة في كتاب المفردات في غريب القرآن للرّاغب الأصفهاني(أطروحة مقدّمة لنيل شهادة دكتوراه علوم تخصّص لسانيات عربيّة)، تح: نصر الدّين بن زرّوق، د ط، 2017/2016م.

فهرس

العنوان	الصّفحة
المقدّمة	أ_ د
فصل تمهيدي: مقدّمات عامّة	23_7
حول المعجم	7
الدّلالة في اللّغة والاصطلاح	12
علم الدّلالة	14
موضوع علم الدّلالة	16
نظريات علم الدّلالة	18
الفصل الأوّل: علاقة التضمّن عند المعجميّين	70_25
توطئة	25
بين أحادية اللّفظ والمعنى وتعدّدها	26
ظاهرتا المشترك اللّفظي والأضداد	26
ظاهرة التّرادف	40
التضمّن إحالة الأُوّل واحتضان الأُخَر	52
أساسات وقف عليها منكرو التّرادف	52
علاقة التضمّن	62
الفصل الثّاني: دور التضمّن في الكشف عن المعنى	109_72
حول الغريب	72
في رحاب الكتاب	73

شخص السّجستاني	74
حقل الحياة الدّينيّة	75
حقل الحياة الاقتصاديّة	82
حقل القرابة والعلاقات	85
حقل النّبات	88
حقل الطّبيعة وظواهرها	91
حقل العلم والمعدن واللّبس والزّمن	94
حقل الحيوان	97
حقل الإنسان	100
حقل الجمادات	103
خلاصة	108
الخاتمة	111
ملخّص	114
قائمة المصادر والمراجع	117
الفهرس	124